

الفصل الثالث

الحاجة إلى التجديد في علم العقيدة

المبحث الأول : ضرورة التجديد في علم العقيدة

المبحث الثاني : تعريف التجديد ، وبيان المراد بالتجديد العقدي .

المبحث الثالث : مبررات التجديد في علم العقيدة

المبحث الرابع : أسس التجديد (محاوالت التجديد لعلم العقيدة المعاصر)

المبحث الأول

ضرورة التجديد في علم العقيدة

في الصفحات السابقة عرضنا لجملة من المسائل المتعلقة بهذا العلم ، والتي أظهرت فضل هذا العلم ، وأهميته في الحفاظ على العقيدة ، ودفع ما يوجه إليها من شبهات ، كما اتضح لنا كذلك أن الموقف من علم العقيدة وإن اختلف لكنه لا ينكر دور هذا العلم أو إهمال دوره لا يعني تركه بالكلية ، فهذا العلم لا يمكن الاستغناء عنه لما يؤديه ، وإذا كانت هناك بعض الانتقادات التي وجهت إليه فهي وجهت إليه نظرا ، لغياب الدور المنوط ، ولذا تعددت الدعوات بضرورة عودته إلى دوره .

فالاستغناء عن هذا العلم كلية والاكتفاء بما جاء في القرآن وورد في السنة النبوية من قضايا عقدية وأصول إيمانية لا يكفي لمواجهة إلحاد هذا العصر ومن ثم لابد من تجديد هذا العلم ، وتقديمه موضوعاته ، وعرض مسائله وقضاياها في ثوب جديد يفي بالمطلوب و يحقق الغايات بحيث يتاح له أن يؤدي الدور المنوط به ، مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال ، خصوصا وأن وجودها عدة تدفع لقبول هذا الخيار وهي :

1- واقع العالم الإسلامي في عصرنا الراهن .

فلا يخفى على أحد قسوة الواقع الذي يعيشه العالم الإسلامي الآن ، وهو واقع يؤكد ضرورة قيام علم جديد يقوم بمهمة حراسة العقيدة الإيمانية ، وحمايتها من تشويش أهل البدع ، فضلا عن "حماية كل ما يرتبط بهذه الأصول من مبادئ و تشريعات ذلك أن المجتمعات الإسلامية في الوقت الراهن تشبه - إلى حد كبير - المجتمع الإسلامي في طور نشأته ، من حيث سرعة التغير و شدتها في كل منها ، ومن حيث تعرض عقائد المسلمين لتناوش العقائد المناوئة ، وهجمات المذاهب الهدامة"⁽¹⁾

(1) مدخل نقدي لدراسة علم الكلام د. محمد الأنور السنهوتي ص 253 ، دار الثقافة العربية ،

إن من بين الدواعي المؤكدة لضرورة وجود علم كلامي جديد مجابهة المسلمين لأخطار عديدة تهدد عقيدتهم، ومواجهتهم لخصوم وأعداء ألداء يحاولون النيل منهم والقضاء على دينهم وتراثهم. خصوصاً وأن أعداء الأمس غير أعداء اليوم، والشبه اليوم غير التي كانت موجودة بالأمس، وبالتالي فالأسلحة التي استخدمها علم الكلام قديماً قد لا تجدي في مواجهة خصوم اليوم، ومن هنا: "فإن علم الكلام الذي تطور على مر القرون، والذي وقف في تطوره عند عصر الإيجي، والتفتازاني، لا يصلح للقيام بهذه المهمة، والسبب هو أن علم الكلام انعزل عن التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة، وانحصر إلى قاعات الدرس بالمعاهد العلمية المتخصصة، وصار يردد قضاياها الأصلية دون أن يعني بالتيارات الإلحادية التي تموج في حياة المسلمين في العصر-الحاضر، ... وهنا نجد أن المسلمين اليوم بحاجة ملحة إلى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقائد الإسلامية" (1).

2- الغايات الجليلية لعلم العقيدة، فمن بين الغايات الجليلية لهذا العلم مواءمة النمو الحضاري للأمة الإسلامية، في أساسياته، وفي حركته في المجال الاجتماعي، و السياسي، والاقتصادي في ماله علاقة أو مساس بأصول الدين.

3- كذلك من بين غايات هذا العلم الجليلية قيادة مسيرة الحضارة الإسلامية في طريقها الإسلامي، وليس هناك علم يتصدى لذلك غير هذا العلم. إن العلوم التي توجه عنايتها للجزئيات لا تصلح لذلك، فعلم الفقه - مثلاً - يشارك في صنع هذه الحضارة، لكنه يفترض أساساً أنها تسير في الطريق الإسلامي لا تبغي به بديلاً.

ويوم يقرر المجتمع الانحراف عن هذا الطريق، يصبح علم الفقه غير ذي تأثير، وعلم التفسير لا يتصدى لذلك إلا بمقدار تناوله لأساسيات العقيدة التي وردت في

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص 316 .

القرآن الكريم تناولاً يستهدف الإقناع بها ، فهو من ثم يزاول نشاط علم الكلام وكذلك علم الحديث

أما علم الكلام فهو من حيث يعني بأصول الدين وعقائده ، تلك التي قامت على أساسها الحضارة الإسلامية - يقوم بمهمة قيادة هذه الحضارة والأخذ بها في الطريق الإسلامي للحضارة ، ولم يكن من شرط لصلاحيته للقيام بهذه المهمة ، إلا أن يواجه بشجاعة مشكلات العصر الذي يطلب إليه قيادة حضارته ، ويتصدى لتحدياته ، ويتغلغل في أعماقه في كل ما له مساس بأصول الدين ⁽¹⁾.

4- النظرة السريعة لما يدور في أروقة الدرس الأكاديمي لعلم العقيدة اليوم ، فهذه النظرة تكشف عن وجود هوة سحيقة بين واقع المسلمين اليوم وما يعجب به من قضايا دينية ، وما يلقي على طلبة العلم من دورس دينية تتصل بعلم الكلام ، هذا العلم الذي كان يمثل خط الدفاع الأول والحصين ضد حملات التشكيك في الإسلام وفي عقائده ، أصبح الآن أشبه بالمتحف الثقافي الذي يتعرف الطالب من خلاله على جملة من الآراء التي لم يعد لكثير منها وجود في عصرنا .

أن الواقع الذي عليه عصرنا يختلف تماماً عن الواقع الذي عاشه القدماء ، كما أن المشكلات التي يعجب بها واقعنا يختلف كذلك عن المشكلات لدى القدماء ، فضلاً عن الموضوعات والثقافات ، والقضايا والمسائل والحلول كلها أمور مختلفة . اقتضى ذلك عناصر كالزمان ، والمكان ، والبيئة ، والمستوى الفكري ، والثقافي .

فمشكلة علم العقيدة تناولها القدماء باعتبار أنها كانت تمثل واقعاً ثقافياً يعيشه القدماء همومه في الصباح والمساء ، وهذا مما يؤكد على ارتباط هذا العلم قديماً بواقع المسلمين ⁽²⁾.

(1) المصدر نفسه ص 311 - 312 .

(2) ينظر : نحو قراءة جديدة لعلم الكلام د. محمد الجليند ص 25 - 26 ، بحث ضمن أبحاث مؤتمر مناهج العلوم الإسلامية بين التجديد والتقليد الحلقة الأولى علم الكلام 20-21 إبريل 2004 م دار الهاني للطباعة .

5- القضايا المعاصرة ، إن مما يجب أن يحويه علم العقيدة الجديد القضايا المعاصرة التي صارت موجودة وبقوة على الساحة العالمية ، مثل قضايا الأقليات ، و الحريات العامة ، و نظم العلاقات الدولية ، وقضايا العولمة ، و الحداثة ، و التطرف ، و الإلحاد ، عبادة الشيطان ، و ظاهرة الإيمو ... الخ ، فهذه القضايا لا بد من أن يستوعبها علم العقيدة الجديد ، و إذا كان هذا العلم قد قام بدوره قديما ، في اسيعاب القضايا التي وجدت أمامه وقام بدورها نحوها خير قيام مما أهله أن يكون مواءما للنمو الحضاري للأمم ، وفي ذات الوقت أسهم في المسيرة الحضارية للأمم المسلمة

6- الأصول العقدية والقضايا الدينية والمفاهيم الإيمانية التي جاء بها الوحي ؛ فهي بحاجة إلى توضيح كي تصل إلى عقول المخاطبين بهذا الوحي ، وذلك لما هو معلوم من أن العقول متفاوتة و قاصرة بحيث يعجز الكثيرون منهم عن التلقي المباشر أو الفهم الواضح لمضامين الوحي ، وبالتالي فإن علم العقيدة الجديد يعمل على "إيصال المقاصد الدينية إلى فهم وإدراك طلاب العلم، ويقوم الكلام بدور الوسيط بين الوحي ومخاطبيه ، والوصول إلى هذا الهدف مرهون بتوضيح التعاليم الدينية، ففي التعاليم الدينية مفاهيم متعددة مثل: الإيمان، والتوحيد، والنبوة، والإمامة، والعدل، التي تحتاج إلى توضيح وتعريف، وتقديم التصور الواضح الجلي للمفاهيم الدينية يقع على عاتق علم الكلام"⁽¹⁾.

وليس معنى ذلك أننا نكتفي بأن يقوم علم العقيدة الجديد بمجرد شرح أو توضيح المفاهيم الإيمانية والقضايا الدينية فقط ، بل إن ما يجب أن يقوم به هو صياغة هذه المفاهيم وتلكم الأفكار في نسق معرفي يظهر النظام العقائدي الإسلامي بصورة متكاملة لا قصور فيها أو تفاوت ، شريطة أن ينطلق الكلام الجديد في بنائه المعرفي

(1) الهندسة المعرفية للكلام الجديد د/ أحمد قراملكي ، ترجمة حيدر نجف و حسن العمري ص 60.

ط دار الهادي بيروت 1423 هـ 2002 م .

لنظام العقائدي الإسلامي من " المضمون الأساسي للنظرة القرآنية، ومن المشكلات المعاصرة، ومن الأزمات الماثلة في الأنظمة الحديث، بغية حلها في ضوء تلك النظرة، ويكمل نقص تلك العقائدات، محتفظاً في إطاره بمنجزات الحضارة الحديثة ومكاسبها في ميدان العلوم البحتة وفي ميدان الصناعة، ما دامت قابلة للدخول في أطر الإسلام العقائدية والأخلاقية"⁽¹⁾.

7- عيوب علم العقيدة القديم ، فمن بين أهم عيوبه ، نزعه التجريدية النظرية، وأحكامه اليقينية ، الأمر الذي ترتب عليه تعصب أصحابه لاتجاهاتهم تعصبا مذهبيا مقيتا ، فالمعتزلة العقليون تعصبوا لفكرتهم وصولا لإجبار الناس على اعتناقها كما حدث في مسألة خلق القرآن، وأهل الأثر تعصبوا للمنقول على حساب المعقول دون وعي حقيقي وإدراك كامل للمنقول .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فإن طريقة عرضه لمسائله شابه القصور باعتباره قد ركز على معرفة المخلوق بخالقة معرفة جزئية إذ ركز فيها على الناحية العقلية فقط مهملنا لنواحي أخرى كالروحية والوجدانية الأمر الذي ترتب عليه غياب الأثر العملي للعقيدة في نفوس أصحابها .

إن دور العقيدة يأتي حين " تلبي مطالب العقل و مطالب الروح . أما مطالب العقل فتتمثل في الحاجة إلى الإجابة عن عدد من الأسئلة المتعلقة بالتصور العقلي لكثير من غوامض الوجود . و أما مطالب الروح فتكمن في السعي وراء السعادة الحقيقية للإنسان حينما يصطدم بالحياة المادية و يكابد أحداثها.

ويمكن إدراك خطورة تقليص دور وفعالية العقيدة في حياة وقلوب المسلمين إذا ما علمنا أن "عوامل الانحراف متشعبة متعددة بفعل كثرة المؤثرات المؤدية إلى الخلل في

(1) نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث: أ/ محمد المبارك ص 12، ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1989 م.

السلوك، والهيام في التصور، والتخبط في الفكر، وقد تبين من تعدد أوجه الحضارة المدنية تعدد وسائل التأثير والجذب، وجوانب التأثير والانجذاب، ولا محيد هنا عن وجود عامل الرقابة الذي يسيطر على تصرفات الإنسان ويضبط سلوكه ويقوم أعوجاجه".

وفي ظل الموجات الثقافية المتلاحقة والتي تقذف بمختلف مظاهر السلوك الإنساني، وفي ظل تعدد وسائل الإعلام وتنوعها، من إعلام مكتوب إلى مسموع، إلى مرئي، إلى فضائيات واسعة النطاق، إلى شبكة المعلومات العالمية، وغيرها من وسائل نقل الثقافة، وفي ظل هيمنة نظام عالمي يراد من خلاله طرح ثقافة واحدة تنصهر فيها كل الثقافات، وتذوب فيها الخصوصية الفردية، ويتضاءل فيها حق الاحتفاظ بالهوية الذاتية للأمم والمجتمعات والأفراد.

تحت كل هذه الظلال لا يبقى أى من أنواع الرقابات على السلوك الذي يدفع بالمرء إلى إشباع الرغبات والنزوات من غير مبالاة بالقيم والأعراف والشرائع والقوانين. وهنا يقل - بقوة - دور سائر الرقابات، فلا الرقابة القانونية، ولا الرقابة الشعبية، ولا رقابة الأسرة قادرة على السيطرة على سلوك الإنسان الذاتي. وتبقى رقابة واحدة هي القدرة على الحكم والضبط على المرء، وهي الرقابة الذاتية النابعة من ضمير الفرد ووجدانه وأعماق نفسه، وليس ثمة شئ يفرض هذه الرقابة في باطن الإنسان إلى العقيدة الصافية، والإيمان القوي الذي يصل الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، ويورث في قلبه يقظة دائمة من غفلة الروح وغفوة الضمير، كما يورث شعوراً مستمراً بالرقابة الإلهية التي تهيمن على عقل الإنسان وفكره وكيانه

ومن جهة أخرى فإن تداخل الثقافات وتناقل مفرداتها، وتلاشي الحضارات وتكامل علومها يؤدي في بعض جوانبه السلبية إلى ورود أفكار لا تلائم التصور الصحيح للكون والمبدأ والمعاش والمعاد والغيبات، كما تشوه التفسير الحقيقي للوجود ومصدره وحقيقته ودور الإنسان ووظيفته في الحياة، وحينئذ يتعين المصير إلى

الطرح الإسلامي الموضح لكل هذه المعاني و المجيب عن كل هذه التساؤلات في هذه القضايا باعتبار أن العقيدة الإسلامية قد تكفلت بالرد عليها⁽¹⁾.

8- اتفاق كثير من علماء الإسلام على ضرورة تجديد علم العقيدة ، فمن بين الدواعي المؤكدة على ضرورة تجديده تنبيه علماء الإسلام الأجلاء على هذا مع اختلاف أماكنهم ، و نكتفي هنا ببعض أقوالهم :

أ- الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود (رحمه الله تعالى) الذي نعى على العقيدة بصورته الحالية أو القديمة ، وطالب بتوحيد الجهود لإيجاد علم الكلام فيما ينبغي أن يكون⁽²⁾.

ب- أ. وحيد الدين خان ، فقد دعا إلى ضرورة وجود علم كلام جديد قائلاً: إن تطور العلم مكثنا اليوم من وضع علم كلام متناسق مع القرآن، وإذا كان هناك من شيء يسمى بعلم الكلام الجديد فهو هذا العلم الذي لم يدون بعد بالرغم من توفر المواد وشدة حاجتنا إليه لسد الفراغ الفكري الذي يعاني منه المسلمون بصفة عامة، وغير المسلمين بصفة خاصة⁽³⁾.

ت- المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى فبعد تقديم بعض الملاحظات على الكلام القديم يقول : لسنا نريد بهذا أن ندعو لعدم دراسة علم التوحيد، ذلك بعيد أن يدور منا بالبال، بل المراد من هذا أن ندلل على وجوب تطور هذا العلم بوجه عام، وذلك بأن نجدد في كتبه وأدلته ومشاكله وفي الفرق التي يرد عليها، وحينئذ يكون أداة منها، أداة يكون منها خير كثير في تثبيت عقائد الدين وهداية الضالين⁽⁴⁾.

(1) التجديد في عرض علوم العقيدة: أ/ ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي، ص 953 - 926، ضمن أبحاث المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 2002م.

(2) ينظر: الإسلام والعقل ص 80، ص 104، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(3) تجديد علم الدين ص 68 ترجمة ظفر الإسلام خان، ط دار الصحوة للنشر 1406 هـ 1986 م.

(4) مقدمه سيادته لكتاب الإرشاد للجويني ص ش، ط مكتبة الخاتجي بمصر 1369 هـ/ 1950.

وبالجملة فنحن في حاجة ماسة إلى علم كلام متطور ، يلائم ظروف العصر- و طبيعة المرحلة التي نعيشها ولا تقف إمكاناته و تطلعاته و أهدافه عند حدود علم الكلام القديم ، الذي وقف تطوره عند عصر الإيجي و سعد الدين التفتازاني ، و الذي انتهى به الأمر إلى أن انعزل عن التيارات الثقافية و العلمية المعاصرة ، و اقتصر- دوره على وجوده داخل قاعات الدرس ، و لم يعد له صلة بقضايا الساعة أو الواقع المعاش ، فلم يشتبك اشتباكا جادا مع المذاهب المادية ، و التيارات الإلحادية ، و الفلسفات الوثنية ، و الجماعات الجهادية التكفيرية التي تهدد واقع المسلمين ، كل هذه يجعل من الأهمية بمكان وجود علم جديد يراعى الوقت و يناسب الظروف .

المبحث الثاني

تعريف التجديد ، وبيان المراد بالتجديد العقدي

تمهيد: (في أمور لابد منها) :

عند الحديث عن التجديد في علم الكلام ينبغي قبل الشروع في بيان المراد منه لابد الإشارة إلى عدة أمور مهمة تسهم في وضع الأمور في موضعها الصحيح ، كما أنها تسهم في توضيح المراد بالتجديد الكلامي بالمعنى الحق الصحيح ، ومن بين هذه الأمور ما يلي :

الأمر الأول : من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المراد بالتجديد هنا في الجانب العقدي أو الكلامي ما يتعلق بالعلم لا ما يتعلق بالعقيدة ذاتها ، وهذا مفاده ضرورة التفرقة بين العقيدة الإسلامية وعلم العقيدة الإسلامية ، إذ أن التجديد الذي ندعو إليه يتعلق بالعلم ولا يتعلق أو يتوجه للعقيدة الإسلامية إذ هي لا تقبل التجديد أصلاً و ذلك نظراً لخصائصها ، والتي من بينها وأهمها الربانية ، والتوقفية ، بخلاف علم العقيدة فهذا هو الجانب الذي يناله التجديد باعتبار أنه جهد بشري خالص يقوم بدور الوساطة بين الوحي والمخاطبين به .

ومعنى هذا أن التجديد الذي نعنيه لا يتناول ثوابت هذا الدين ، فهذه الثوابت أي الأصول الإسلامية المقدسة خالدة خلود الدين الخاتم ، ولا يمكن تحت أي ذريعة من الذرائع الاجتهاد في مقابلة الثوابت وتجديد الأصول ، إنما التجديد مساحته الفكر الإسلامي الموروث والمعاصر ، أي الإنتاج الفكري الإسلامي للمفكرين المجتهدين المتقدمين والمتأخرين⁽¹⁾ .

الأمر الثاني : يتعلق بحقيقة الدعوة إلى تجديد علم العقيدة ، أن التجديد ليس

(1) ينظر : التجديد في الفكر الإسلامي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد 57 - القاهرة

انقطاعاً عن تراث السابقين ولا قفراً عليه ، ولكنه يكون بقتل هذا التراث بحثاً و نقداً لاستيعابه وتجاوزه إلى أفق جديد يتناسب مع طبيعة العصر و مشكلات الوقت الراهن لمواجهة التحديات المفروضة على الأمة ، وهذا ما نلمسه في عمل الأكاديمين الذين عكفوا على دراسة التراث الإسلامي ، بمختلف مدارس الفكرية ، و تياراته المذهبية ، دراسة واعية لاستكشاف طبيعة العقل المسلم ومكوناته ، وهو ما يبرز بوضوح في أعمال مدرسة العلامة مصطفى عبدالرازق الذي وجه تلاميذه لاكتشاف العقل الإسلامي عبر علمي أصول الدين ، و أصول الفقه باعتبارهما أكثر العلوم تعبيراً عن خصوصية العقل المسلم و مجال تميزه و تفرد⁽¹⁾.

الأمر الثالث : يتعلق بفرضية مسلمة تتضمنها الدعوة إلى تجديد علم العقيدة وتتمثل في ضرورة التسليم الجازم بأن الفكر العقدي شأنه كأي فكر بمرور الزمن ، ومضي الوقت يصيبه الركود ، الأمر الذي يحتم ضرورة النظر فيه ، وإعادة بنائه من خلال عرض مسائله ، وتقديم موضوعاته بما يتناسب ، مع عناصر منها "... الأعراف ، والزمان ، و المكان ، و التاريخ..."⁽²⁾.

و مثل هذا يحتم ضرورة تجديد علم العقيدة بما يستقيم و القواعد المقررة و القواعد المتعارف عليها لدى أهل العلم و ذوي الاختصاص .
و بعد الإشارة إلى ما تمت الإشارة إليه ننتقل لبيان معنى التجديد في اللغة، ثم نوضح المراد بالتجديد العقدي.

أولاً: معنى التجديد :

يعد مصطلح التجديد واحد من المصطلحات التي كثر الحديث عنها في الآونة

(1) ينظر : تجديد الخطاب الديني د . أحمد عرفات القاضي ص 24-25 - الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008 م .

(2) مفاهيم التجديد و الاجتهاد و الإبداع ، سماحة الشيخ عبد الأمير قبلان ص 133 ضمن كتاب أبحاث مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المعقد في القاهرة 2001 م ، مطابع الأهرام التجارية .

الأخيرة ، و تناولها العلماء والمفكرين بالبحث والدراسة من نواح متعددة ، وكانت مسألة تحديد ماهيته من المسائل التي عني بها المفكرون خصوصاً وأن المنهجية العلمية تقتضي تحديد مفهوم المشكلة محل الدراسة ، وفهم معناها ، "كما أن التفاهم والتخاطب إنما يقوم على فهم مدلولات الألفاظ، وبيان المراد منها"⁽¹⁾

(أ) التجديد في اللغة :

جاء في معاجم اللغة وقواميسها عن مادة "جدد" ما يلي:

أن العرب تقول تجدد الشيء يجد أي صار جديداً ، وأجد الشيء واستجده ، أي صيرّه جديداً فتجدد . و الجدّة مصدر الجديد وهو نقيض البلى ، ويقال جد الثوب يجد - بالكسر - صار جديداً وهو نقيض الخلق ، وأجد ثوبا واستجده لبسه جديداً⁽²⁾ .

قال البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

آياته كلما طال المدى جُددُ === يزينهن جلال العتق والقدم⁽³⁾ .

و قولنا تجديد شيء : يفيد وجود أصل صحيح له حصل عنه تغيير إلى سيئ ، و تجديده يكون برده إلى أول عهده الذي كان فيه جديداً و ذلك مثل " السيف إذا علاه الصدأ ثم نفضنا عنه الصدأ ، فهذا يسمى تجديداً ؛ لأنه يعيد للسيف مضائه من جديد"⁽⁴⁾ .

ومن النقول السابقة يمكن القول: إن التجديد في أصل معناه اللغوي هو إعادة الخلق البالي بعد أن تقادم به العهد ، و غشيته عوادي الزمن إلى حالته الأولى التي ظهر

(1) المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، د/ عوض الله حجازي ص 72 ط خامسة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

(2) لسان العرب لابن منظور 2/ 201، 202 ط ثانية ، بيروت 1417 - 1997 م ، القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الدال فصل الجيم مادة (جد) ص 246 ، ط 2 مؤسسة الرسالة ، بيروت 1407 هـ - 1987 م .

(3) البردة للبوصيري ص 8 ط مكتبة الأزهر .

(4) تجديد الدنيا بتجديد الدين د. محمد عماره ، ص 12 ط 2 مكتبة نهضة مصر 1998 م .

عليها لأول مرة مع المحافظة على جوهره وخصائصه وصفاته الذاتية ومعالمه ، وعدم المساس بها وهذا كما ينطبق على الماديات ينطبق كذلك على المعنويات .

ب- التجديد في البيان القرآني :

كلمة " تجديد " لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما وردت بعض مشتقاتها مثل : جديد ، جديدا ، في بعض الآيات الكريمة التي تحدثت عن قضية البعث بعد الموت ، ومن هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۚ ﴾ (2)، والمراد بالخلق الجديد هنا هو البعث والإعادة بعد الموت.
وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۚ ﴾ (3).

وقال جل شأنه: ﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ ﴾ (4).
فهذه الآيات جاءت كلها لتؤكد على قضية البعث بعد الموت ، وهذا التكرار حول هذه القضية يشير إلى أن الله سوف يعيد كل إنسان على هيئته الأصلية و حالته الأولى التي وجد عليها ، وهذه الإعادة للجسم بجميع أوصافه و كل خصائصه يعد بعثا له أو تجديدا له ، فالبعث في المفهوم القرآني هو إعادة الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها دون أي تغيير ، وهذا هو المعنى الحقيقي للتجديد في القرآن الكريم و عبر عنه بالفاظ جديد- جديدا .

ج- المصطلح في رحاب السنة المطهرة :

وإذا انتقلنا للسنة المباركة وجدناها قد تعرضت لمصطلح التجديد من خلال

(1) سورة الرعد آية رقم : 5.

(2) سورة الإسراء آية رقم : 49.

(3) سورة السجدة آية رقم : 10.

(4) سورة ق آية رقم : 15.

ذكرها لبعض مشتقاته في أحاديث عدة منها : مارواه ابن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم " (1) .

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جددوا إيمانكم قيل يا رسول الله ، وكيف نجدد الإيمان ؟ قال : " أكثروا من قول لا إله إلا الله " (2) .

و الناظر في هذين الحديثين الشريفين يدرك أن الإيمان وهو شيء معنوي يعتريه ما يعتري الثوب من الخلق و البلى ، فهو يجدد و يبلى ، و يضعف و يقوى ، و قد بين لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) على طريقة تجديده و ذلك من خلال أمرين وهما :

الأول : سؤال الله تعالى تجديد الإيمان .

الثاني : قول لا إله إلا الله .

وأشهر حديث في هذا الإطار ما رواه سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (3)، وتجديد الدين المشار إليه هنا يكون بإحياء ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة (4)، والمقصود بالعلوم الباطنة علوم الخشية والسلوك والمراقبة ونحو ذلك، وقد ورد التجديد في أحاديث أخرى بمعنى إحياء الإيمان في القلوب .

(1) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک 1 / 4 ، وقال : " لم يخرج في الصحيحين ، ورواه مصريون ثقات ، ووافقه الذهبي ، وعزاه الهيثمي في المجمع 1 / 57 للطبراني وقال : " إسناده حسن " .

(2) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده 2 / 359 و حسن إسناده الشيخ أحمد شاكر (8695) .

(3) رواه أبو داود في كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة ، حديث رقم : 4291 (4 / 109) ط المكتبة العصرية بيروت .

(4) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (1 / 10) ، ط دار المعرفة بيروت ، 1391 هـ - 1972 م .

وأخيراً جاء التجديد بمعنى الإعادة كما في قوله (ﷺ): " لا تسبوا الدهر، فإن الله عز وجل قال: أنا الدهر، الأيام والليالي لي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك" (1). فجماع ما تقدم من معاني لمصطلح التجديد في اللغة والقرآن والحديث الشريف، يدل على الإحياء والبعث والإعادة للشئ، وبالتالي فالتجديد إصلاح داخل شئ كان موجوداً، ثم أصابه البلى أو الضعف والركود، وليس إحداث شئ لم يكن موجوداً من قبل، وابتداع أمر جديد وفرق كبير بين تجديد الشئ واختراع شئ جديد (2).

د- التجديد في اصطلاح العلماء :

عند محاولة الوقوف على معنى التجديد في اصطلاح العلماء نجد أن هذا المصطلح قد ظهر مبكراً، وقد جرى ذكره على الألسنة والأقلام، وأصبح الحديث عن التجديد والمجددين معروفاً ومشهوراً، والناظر فيما كتب قديماً وحديثاً من قبل علماء الإسلام عن التجديد يجده لم يخرج عن النحو التالي :

الأول : وفيه يرى أصحابه أن التجديد هو إحياء العمل بالدين، والعمل على عمل الناس به، يقول العلقي معنى التجديد : هو إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها (3).

الثاني : وفيه يذهب أصحابه أن التجديد هو إحياء العلم بالدين و تجديد الفهم له يقول القاري في المرقاة :التجديد هو أن يبين السنة من البدعة ، و يكثر العلم وينصر- أهله ، و يكسر البدعة" (4).

(1) مسند الإمام أحمد 2 / 496.

(2) ينظر: مفهوم التجديد مع رؤية تطبيقية على التجديد في كتابة العقيدة الإسلامية دكتور سليمان بن صالح الغصن ص 587 ضمن كتاب المؤتمر الدولي لكلية دار العلوم جامعة المنيا في مارس 2005م.

(3) فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ص 14 ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1 1994 م.

(4) ينظر: عون المعبود في شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي 6 / 260 ، ط دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

وهذا المعنى هو ما يؤكد أبو الأعلى المودودي بقوله التجديد هو : " عبارة عن تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية وجلاء ديباجته ، حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام"⁽¹⁾.

الثالث : وفيه ينتهي أصحابه إلى أن التجديد هو تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من الأحداث و الوقائع ومعالجتها معالجة نابعة من الكتاب و السنة .
إذا أن التجديد عندهم هو الفهم الجديد القويم للنص، فهما يهدى المسلم لمعالجة مشكلاته و قضايا واقعه في كل عصر نعيشه، معالجة نابعة من هدي الوحي"⁽²⁾.
من خلال هذه الاتجاهات يمكن صياغة تعريف جامع له بأنه هو : إحياء و بعث ما اندرس من الدين ، و تخليصه من البدع و المحدثات ، و تنزيله على واقع الحياة و مستجداتها

هذه هي التعريفات التي قيلت في تعريف التجديد بصفة عامة ، و الآن علينا أن نبين المراد بالتجديد العقدي ، أو ما هو المراد بتجديد علم الكلام ؟
وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى إن الذي نرمي إليه من وراء التجديد الكلامي هو التأكيد على حقيقة مهمة وهي : " أن قضايا العقيدة الأساسية تمثل أصولاً وثوابت لا اجتهاد فيها، في كل زمان ومكان، فأصول الإيمان الستة التي جاء بها حديث جبريل (عليه السلام) ، وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر هي أصول الإيمان إلى آخر الحياة الدنيا، وأن الاقتراب منها بدعوى التجديد في تلك الأصول إنما هو تحريف وليس تجديداً ، من ثم نرى أن المراد بالتجديد في تلك الأصول إنما هو تحريف وليس تجديداً ، من ثم نرى أن المراد

(1) موجز تاريخ تجديد الدين و إحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم : أبو الأعلى المودودي ص 9 نقله إلى العربية محمد كاظم سباق ، بيروت ، دار الصحوة للنشر - القاهرة ، ط 1 - 1986 م.

(2) ينظر : الإجهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية ، عمر عبيد حسنة ، ص 20 المكتب الإسلامي بيروت ط 1 - 1988 م .

بالتجديد هنا : هو سوق الأدلة على العقائد الصحيحة ونقض شبهات العقائد الباطلة من منظور يتلاءم مع مقتضيات الأحوال، بتغير الزمان والمكان، والروح العامة التي ينظر بها إلى الأديان ، و ليس هذا ببعيد عن منهج الإسلام"⁽¹⁾.

ومعنى هذا أن التجديد لا يمس الموضوعات العقدية المتعارف عليها اصطلاحاً في علم العقيدة ، لكنه يختص بالتناول ، والاستدلال ، والتوجيه .

أو بعبارة أخرى يصح القول بأن : " الاجتهاد في الأصول "العقائد" ومصدرها النص القطعي الثبوت والدلالة، أي محكم القرآن ليس معناه التغيير لهذه الأصول، ولا تجاوز أي منها .. وإنما معناه - أحياناً - إزالة طوارئ الانحرافات والبدع الفكرية - وهي غير الإبداع - عن هذه الأصول، لتعود لها خصائصها وفعاليتها.. ومعناه - في أحيان أخرى - الاستفادة بمنجزات العقل الإنساني في العلم الكوني وفي الفلسفة لإقامة البراهين العقلية الجديدة على صدق هذه الأصول"⁽²⁾.

وإذا كان الأمر على هذا فما هو التجديد المطلوب؟ يجب عن هذا أحد كبار الباحثين في عالمنا الإسلامي بقوله : إن نطاق التجديد في علم العقيدة ينبغي أن لا يقف عند إلحاق المسائل المستجدة بالمنظومة الموروثة في علم الكلام ... وإنما يشمل هذا التجديد - إلى جانب المسائل الجديدة - أهدافاً ومقاصد جديدة فرضتها تحديات جديدة لم تكن موجودة في القرون الإسلامية الأولى ، وذلك مثل نهوض "الآخر" ، و العلاقة به ، وتراجع العالم الإسلامي ، وعوامل صعود الفلسفات المادية ، والمذاهب الوضعية ، وثقافة الحداثة، وتفكيك وعدمية ما بعد الحداثة، ومن مثل التخلف الذاتي الموروث عن حقب التراجع الحضاري في مسيرة الأمة الإسلامية.

(1) العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر إطار التجديد وضوابطه لاستاذنا الدكتور/ محمد نصار ص 1128-1129 ضمن أبحاث مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لسنة 2002م.

(2) الاجتهاد الكلامي مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، إعداد: عبد الجبار الرفاعي ص 125 ، ط دار الهادي، بيروت 2002م.

بجانب هذا لابد أن يشتمل التجديد كذلك التجديد في المناهج استفادة بما تحقق من التراكم المعرفي في هذا الميدان ، ويضاف إلى هذا أيضاً لغة الخطاب وأساليب التأليف ، ومنطق الترتيب للأبواب والمسائل والمقالات ، فلا بد من تحلي علم الكلام الجديد بالبلاغة التي تراعى مقتضى حال العقل المعاصر، إن في الموضوعات أو أساليب التعبير والخطاب، أو هندسة البناء المفاهيمي والمعرفي لأدبيات هذا الطور الجديد لعلم الكلام⁽¹⁾.

ومعنى هذا أن التجديد الكلامي يجب أن يكون شاملاً لكل أجزاء العلم المعرفية من مسائل ، ووسائل ، وأساليب ، ومناهج ، و لغة ، وأهداف ، وكل ذلك تجاوباً مع عناصر الظروف و الزمان ، و القضايا و المشكلات ، و بدون مراعاة هذه الأمور ، وورود التجديد لكل هذه الجوانب يصبح تجديد علم العقيدة أمراً لا وجود له أو على الأقل بناء غير متكامل الأركان .

خصوصاً أن "قضايا الدين ، وقاعد الإيمان في العصور السالفة كانت بوجه عام قضايا مقبولة بحيث كان المطلوب هو إقامة الأدلة على صحتها ، فإن قضية الدين و الإيمان في عصرنا مطروحة من حيث المبدأ بين من يقبل ويجتهد في الإثبات و البرهنة ، و بين من يرفض أو يتباعد ، وقد يعتمد إلى محاربة الدين و الشرائع المنزلة على أساس دعوى زائفة و تعلق بأوهام تدل على الزيف و الجهل بالحقائق الكبرى التي لا يمكن أن يجد العقل الإنساني مناصاً من التعرض لها و التحدث فيها ، ولذلك لابد من التفكير في الطريقة و الكيفية لإحقاق الحق و إبطال الباطل بالحجة والدليل ، ليس فقط على المنهج التقليدي المأثور بل على أحسن ما تحقق في التراث الكلامي النفيس بل مع الأخذ بالمناهج الجديدة خصوصاً في مجال العلوم الحديثة العقلية و الكونية و الإجتماعية"⁽²⁾.

(1) المصدر نفسه ص 126 .

(2) خطة مقترحة لتجديد علم الكلام بحث د. محمد عبدالمهدي أبوريد ضمن سلسلة أعمال غير منشورة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية و بعض قضايا الفلسفة ص 601 ، حققه و قدم له د. فيصل بدير عون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1-2011 م .

وكل هذا يمكن تحقيقه بأن يكون التجديد الكلامي شاملاً لكل أضلاع هذا العلم المعرفية من مسائل ووسائل وأساليب ومناهج وأهداف ، دون إغفال إحداها .
وإذا كان التجديد لعلم العقيدة لا يتم إلا باجتماع كل الأضلاع المكونة لهذا العلم فهل هذا يعني حتمية الانسلاخ التام من العلم القديم ، أو إهماله كلية لإحلال علم كلام جديد يتواءم مع ظروف العصر- ، و طبيعة الزمن ، ويتناسب مع القضايا و المشكلات ؟

في واقع الأمر القول : بأن التجديد لعلم العقيدة لا يتم بإهمال القديم ، وتركه كلية أمر لا يستقيم مع المنهجية العلمية ، و لا يصح القول به ؛ إذ أن البناء الجديد لهذا العلم لا يتم إلا من خلال الكلام فالتجديد الكلامي شيء آخر يتم من خلاله الوقوف على ما في القديم من إيجابيات للاستفادة منها ، ومعرفة ما فيه سلبيات لتجاوزها ، ومعالجتها متى أمكن ذلك خصوصاً إذا ما وضع في الحسبان أن بعضاً من هذه السلبيات التي تعرض لها أو وقع فيها كانت لظروف و عوامل متعددة أدت إليها .

وعلى هذا يكون التجديد العقدي المطلوب هو " أن يتحول العلم في أضلاعه المختلفة ويبقى ملاك الوحدة بين مسائله على حاله دون تغير ، وكذلك مناط تمييزه عن سائر العلوم إن التحول التكاملي ، يعني أن يتكامل الشيء ويظهر في صورة جديدة مع الاحتفاظ بمشتركات معينة مع القديم . ما يعني بقاء الملاك الذي يوحد بين المسائل ويميز العلم عن باقي العلوم . فلا يحصل نتيجة التجديد في أهم الأضلاع المعرفية للعلم انقلاباً ماهوياً فيه . بل يحتفظ العلم بعناصره الأساسية المكونة لتعريفه وهويته"⁽¹⁾ .

ويساعد على هذا أن علم العقيدة " كما نقرؤه في مصنفاته المتوالية كان يتطور من حيث المحتوى و الأدلة ، و من حيث تناول الآراء و المشكلات التي كانت تعرض و تتجدد باستمرار ، وعلى هذا فإن مهمته في عصرنا كبيرة و خطيرة بمقدار كثرة الآراء و

(1)جولة في كتاب الهندسة المعرفية الهندسة المعرفية للكلام الجديد د . أحمد قراملكي

تنوعها و تضاربها و تحير كثير من العقول في عصرنا المضطرب"⁽¹⁾.

وعلى هذا يكون التجديد في علم العقيدة ليس خاصا بالأصول الاعتقادية ؛ لأنها حقائق أزلية أبدية لا يمكن التدخل فيها نظرا لربانيتها .

بل يختص بكل أجزاء العلم المعرفية و التي سبق ذكرها ، ومعنى هذا أن التجديد في علم الكلام أشبه ما يكون بسلسلة متصلة الحلقات يأخذ منها اللاحق عن السابق ، و يبنى على بنائه ، و يضيف إليه ، و يصحح له متى وجد ذلك ، و يطور فكرته و يدلل عليها و يسوق لها الأدلة المتنوعة ، و يعرض لهذه الأدلة بما يتناسب مع ظروف العصر و طبيعة المشكلات و القضايا ، كل هذا مع المحافظة على أصول هذا العلم و ثوابته ، باعتبار أن الدعوة للتجديد هذا العلم لا تمثل انقطاعاً عن جهود الآخرين ، و في نفس الوقت لا تشكل انفلاتاً من الثوابت العقدية و الأصول الإيمانية المقررة في السلام ، - باعتبار أنها حقائق أزلية و ثابتة - ، و لا يمكن المساس بها أو التفريط فيها أو التقليل من شأنها .

فالتجديد الذي نعنيه لا يراد به استبدال القديم بالجديد ، أو قطع الصلة بكل ما هو قديم بدعوى أنه قديم ، أو هجر القديم بدعوى المعاصرة ، فالتجديد الذي نريده ، و المعاصرة التي نسعى إليها هو " وجود المسلم بأصالته الإسلامية وسط هذا الركام يتفاعل معه ، فلا يقصر في الأخذ بما يقتضيه عصره من تقدم مادي ، حتى لا يكون تابعا لغيره فيما يتعلق بشئون حياته ، فالتبعية لا تنجسم مع الأصالة ، و المعاصرة انطلاق بالأصالة و البناء الذاتي لمحاورة الأفكار المعاصرة ، فإن وجد منها ما ينفع أخذه و جعله منه " فالحكمة ضالة المؤمن " إنه يأخذها إليه لتكون منه ، لا ليكون منها . وإن وجد منها ما لا يستقيم بين فسادتها حتى يأمن الناس شرها فالمعاصرة إيجابية ، تفاعل بالأصالة ، و أخذ و عطاء بوعي و فطنة ، لا يؤخذ ما يفسد ، و لا يترك ما ينفع ، و لذلك فإن المعاصرة لا تكون بغير أصالة ، و إن وجد في عصر - من العصور معاصرة بغير

(1) خطة مقترحة لتجديد علم الكلام بحث د. محمد عبد الهادي أبوريد ضمن سلسلة أعمال غير منشورة الجزء الأول الفلسفة الإسلامية و بعض قضايا الفلسفة ص 601 ، حققه و قدم له د. فيصل بدير عون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1-2011 م .

أصالة كانت أهواء ومفاسد تنخر في عصرها⁽¹⁾.

إن التجديد الذي نقصده هو " أن نجدد فكرنا الديني ولا أقول نجدد عقدتنا ؛ لأن العقيدة لا تتجدد ، إن مشكلتنا تكمن في كيفية فهم أصول العقيدة على ضوء حياتنا المعاصرة وعلى ضوء معطيات العلم الحديث وما أثاره من قضايا معاصرة ينبغي أن يتصدى لها المهتمون بأمور العقيدة . نحن لا نستطيع أن نغض الطرف عن الهندسة الوراثية ، والاستنساخ ، وعن دور المرأة المسلمة ، وعن علاقة التكنولوجيا بالدين ، نحن في حاجة إلى فقه جديد يساير التطور العلمي ويسهل للناس حياتهم ، نحن في حاجة إلى فقه يوضح للمسلمين كيف يعيشون في غير ديار المسلمين؟ كيف يمكن أن يحيا بينهم ومعهم دون أن يفرطوا في عقيدتهم"⁽²⁾.

في ضوء ذلك يمكننا القول بأن التجديد الكلامي الذي نرمي إليه يمكن الوقوف عليه من خلال التميز بين الثابت والمتغير ، بين العقيدة وبين العلم ، وبين الإلهي والوضعي ، بين معطيات الوحي ، ومنتجات العقل والتجديد ينصب على الثاني فيما كل ما سبق ولا يمتد إلى الأول أبدا باعتباره حقائق أزلية ثابتة مقدسة تتميز بربانية المصدرها وتتوقف على الإذن منه .

(1) الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي : د/ محمد رأفت سعيد ص 9، ط 1408 هـ، 1987 م.

(2) دور العقيدة في حياة الإنسان المعاصر . مقال بعنوان " نحو قراءة جديدة لعلم الكلام للدكتور

فيصل بدير عون - جامعة عين شمس . ص 724 ، 725 ، كتاب المؤتمر الدولي الثالث للفلسفة

الإسلامية كلية دار العلوم جامعة القاهرة مطبعة العمرانية للأوفست ، 1419 هـ 1998 م .

المبحث الثالث

مبررات التجديد في علم العقيدة

عند الحديث عن التجديد في علم العقيدة نجد أن هذا الأمر تدفع إليه عوامل عدة ، و دوافع متنوعة بعض هذه العوامل متعلقة بعلم الكلام القديم ، أما البعض الآخر فتدفع إليه ظروف العصر ، و عوامل الزمن ، و طبيعة المشكلات و الأحداث ، وهذا البعض يمكن تسميته بالعوامل العامة ، وفي الصفحات التالية نعرض لهذه العوامل على النحو التالي :

أولاً : العوامل المتعلقة بعلم الكلام القديم :

1 - موقف الفرق الكلامية من بعضها .

في الحقيقة لا يمكن أن ينسبنا الدفاع عن علم العقيدة بعض الأخطاء التي وقع فيها بعض المتكلمين ، و التي كان من أهمها الحرب الفكرية التي درات بين أصحاب المدارس الكلامية المختلفة .

حتى أنه يمكن القول بأنه قد أعلن الحرب العقائدية كل فريق تجاه الآخر ووصفه بالفسق و الضلال ، و أقرب مثال على ذلك ما نراه في موقف بعض الأشاعرة من المعتزلة فقد كادوا أن يخرجوهم من الإسلام .

فالبغدادى مثلاً عندما يتكلم عن أصحاب البدع و الخارجين عن ملة الإسلام نراه يقول ما نصه : " وان كَانَتْ بدعته من جنس بدع الْمُعْتَزَلَةِ أو الْخَوَارِجِ أو الرافضة الامامية أو الزيدية أو من بدع البخارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فَهُوَ من الأمة فِي بعض الاحكام وَهُوَ جَوَاز دَفْنُهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي أَلَا يَمْنَعُ حَظَّهُ من الْفِيءِ وَالْغَنِيمَةِ ان غزا مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي أَلَا يَمْنَعُ من الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ وَلَيْسَ من الأمة فِي أَحكام سواها وَذَلِكَ أَلَا تجوز الصَّلَاةُ عَلَيْهِ وَلَا خَلْفُهُ وَلَا تحل ذِبْحَتُهُ وَلَا نِكَاحُهُ لامرأة

سنية وَلَا يَحِلُّ لِلْسُنِيِّ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ إِذَا كَانَتْ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ" (1).

و غير خفي أن هذا الحكم فيه قسوة لاسيما إذا أخذ على عموميه ، إذ لا يمكن أن يقال إن المعتزلة جميعا كانوا أهل ضلال أو كانوا على درجة واحدة من الخطأ والصواب ، كما لا يمكن القول بأن كل مخطئ منهم كان يتعمد الخطأ والإضرار بالدين ، خصوصا وأن المعتزلة واحدة من أهم الفرق الكلامية التي أبلت بلاء حسنا في خدمة العقيدة والدفاع عن الدين ، وتاريخهم شاهد على ذلك وأنه مهما تكن " المآخذ التي تؤخذ على منهج المعتزلة في إسرافهم في استخدام العقل في الدين ، إلا أنه مما لا شك فيه أنه يرجع إليهم الفضل في انتعاش الحركة العقلية في الإسلام ، ولقد اعترف بذلك خصومهم فيسميهم الماتريدي بأنهم فرسان علم الكلام ، و تلك إشارة لمهارتهم وقوة جدلهم ومنطقهم ، ودفاعهم عن الإسلام ضد مخالفيه بسلاح العقل معروف ومشهود ، فلقد أبلوا في ذلك بلاء حسنا وأرسلوا الوفود لمناقشة المخالفين للإسلام" (2).

إن المطالع لما كتبه البغدادي عن المعتزلة يجده بعيد كل البعد عن الروح العلمية فضلا عن إخراجهم لهم من الدين فهو يقول : " أجمع أصحابنا على أنه لا يحل أكل ذبائحهم وكيف نبيح ذبائح من لا يستبيح ذبائحنا ، وأكثر المعتزلة مع الأزراقة من الخوارج يجرمون ذبائحنا ، وقولنا فيهم أشد من قولهم فينا ، ولا يجوز عندنا تزويج المرأة المسلمة من واحد منهم فإن عقد النكاح فالفكاح مفسوخ ، وإن لم تعلم المرأة ببذعة زوجها حتى وطئها فعليها العدة ولها مهر المثل بالوطيء دون المهر المسمى ، والمرأة منهم ان اعتقدت اعتقادهم حرم نكاحها وإن لم تعتقد اعتقادهم لم يحرم نكاحها ؛

(1) الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص 11 ، نشر: دار

الآفاق الجديدة - بيروت ط 2 ، 1977

(2) الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة د. علي المغربي ص 203 نشر- مكتبة وهبه ، ط 1 ،

1407 هـ - 1986 م ، وينظر : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه د. إبراهيم مذكور 37/2 ، ط

دار المعارف بالقاهرة ، علم الكلام وبعض مشكلاته د. أبو الوفا التفتازاني ص 44 ، ط دار الثقافة

للطباعة والنشر - 1979 م.

لأنها مسلمة بحكم دار الإسلام"⁽¹⁾.

وهذا قليل من كثير يوضح الحالة التي كان عليها موقف كل فريق من الآخر ، فهذه الروح العدائية حركة شارك فيها الجميع دون أن نستثني منها أحدا فقد شاركت فيها المدارس الكلامية على اختلاف مناهجها ، كما شارك فيها أهل الحديث و التفسير و الفقه ، و استعمل الكفر فيها سلاحا بلاضابط ، وما قام به المعتزلة في فتنه خلق القرآن الكريم معروف .

إذا معنى هذا أن دور علم العقيدة وهدفه انتقل من القيام بإثبات العقائد الدينية و دفع ما يثار حولها من شبهات و الرد على الملاحدة و الزنادقة ، انتقل للدفاع عن الفرق نفسها و عن مبادئها و آرائها ، ففقد هذا العلم دوره ، وتعطلت أهدافه ، وتغيرت وجهته فينقل المعركة إلى صراع داخلي بين أبناء الأمة الواحدة.

2- الانفصال بين علم العقيدة والقضايا المعاصرة .

إن من أهم الانتقادات التي توجه الآن لعلم العقيدة هو عدم وجود صلة بينه وبين القضايا المعاصرة ، وهذا حق ، فانقطاع الصلة بين علم الكلام و الواقع المعاش أفقده قدرا كبيرا من دوره ، و الغى جانبا كبيرا من غاياته و أهدافه ، مع أن حقيقة الأمر تتمثل في أن " قضايا علم الكلام و مفرداته و مسائله لم يتناولها القدماء إلا لأنها كانت تمثل مشكلات واقعية فرضت على المجتمع المسلم خلال احتكاكه بالحضارات المجاورة له ، فهي ليست مشكلات عقلية تجريدية مطلقة لا علاقة لها بالواقع ، و لكنها كانت تمثل واقعا ثقافيا يعيش القدماء همومه في صباحهم و مساءهم و في مجالسهم العلمية"⁽²⁾.

إن الواقع الذي عليه عصرنا يختلف عن الواقع الذي عايشه القدماء ، كما أن

(1) أصول الدين : عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص 341 ، التزم نشره و طبعه : مدرسة الآليات بدار الفنون التوركية باستانبول - مطبعة الدولة ، ط 1 ، 1346هـ - 1928م

(2) نحو قراءة جديدة لعلم الكلام د. محمد السيد الجليلند : ص 28 ، بحث ضمن كتاب أبحاث مؤتمر مناهج العلوم بين التجديد و التقليد 2004 م .

المشكلات و القضايا الموجودة في عصرنا تختلف عن تلك التي عاشوها وتناولوها بالبحث والدراسة ، وهذا يتطلب ضرورة تطوير علم الكلام وتجديده ، وإلا صار هذا العلم إرثاً بالياً لا صلة له بالواقع .

3 - قلة تأثيره على النفوس :

فمن بين أهم الدواعي إلى ضرورة تجديد علم العقيدة هو قلة تأثيره على النفوس نظراً لكثرة الجدل فيه ، صعوبة أدلته ، بل وأحياناً تناقضها ، فضلاً عن انقطاعه عن الواقع وبالتالي قلة تأثيره .

إن علم العقيدة الذي نسعي إليه علم ينتقل من الإطار النظري إلى الواقع العملي ، باعتبار أن الاعتقاد النظري ما لم يتحول على يد صاحبه إلى سلوك عملي فلا فائدة منه ، ولا حاجة إليه ومن هنا نؤكد على أن علم العقيدة المراد هو ذلك العلم الذي يتجاوز الأدلة الجدلية ، والحجج المنطقية ، والأساليب الفلسفية ، والمصطلحات الغامدة لينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية فينقيها ويهديها ، ويرقي سلوكها ، ويمنع من شطحاتها ، فعلم الكلام الخالي من هذه الأمور " يتجاوز الأصول الإيمانية من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر ، بالإضافة إلى الاهتمام بمقتضياتها ولوازمها من العمل والسلوك الاجتماعي ونظام الدولة في الإسلام... إن الأمة الإسلامية في حاجة الآن إلى علم كلام جديد في أهدافه ومناهجه ، يخاطب الداخل أولاً لكي نصل ما انقطع في مسيرته التاريخية ، يخاطب الداخل ، لكي يبين له أهمية العمل بمقتضيات العقيدة ليصبح له اعتقاده في الله ورسوله"⁽¹⁾.

و بالجملة يمكن القول بأن المتكلمين استطاعوا باستخدامهم لمناهج الفلاسفة و المناطق أن يكسبوا عقولهم جدة ونشاطاً ، وأن يقحموا المجادلين ، ويقطعوا ألسنة المعارضين بقوة استدلالهم ، وبراعتهم في المناظرة ، بيد أنهم عجزوا عن أن يسكبوا في

(1) نحو قراءة جديدة لعلم الكلام د. محمد السيد الجليلند : ص 30 - 31 .

القلوب سكونية وإيماناً ، و أن يورثوا أهل الشك يقيناً وإذعاناً ، وأحدثت مناهج بحثهم ، وأساليب استدلالهم عقداً في القلوب والعقول ، عجز علم الكلام نفسه عن حل عقالها⁽¹⁾.

4- إثارته للفرقة والإختلاف:

فمن بين أهم الدواعي إلى ضرورة تجديد علم العقيدة ، هو الفرقة والاختلاف التي جسدها علم الكلام فيما مضى- ، وترتب عليها تفرق المجتمع المسلم إلى فرق وجماعات تناصب كل واحدة منها العداء للآخرى ، مع أن هذا يتناقض مع معطيات العقيدة الإسلامية وأسسها وثوابتها ، فالعقيدة الإسلامية بمفهومها القرآني الصحيح تحرص أول ما تحرص على تحقيق الوحدة ، وتجسيد الأخوة الإيمانية بين كل المتتبعين إليها ، والمؤمنين بها.

فقد كان علماء العقيدة - في عصر النشأة - يوجهون جهودهم إلى إثبات العقائد الدينية بإيراد الأدلة على صحتها ودفع الشبه عنها أو كثيراً ما نافحوا عن هذه العقائد بالحجة والبرهان أو تصدوا لرد هجمات الأعداء على اختلاف فرقهم ومذاهبهم مسجلين بذلك أنصع الصفحات في سبيل الذود عن حمى العقيدة ومسدين أجلاً الخدمات للإسلام والمسلمين . ولكن عندما اهتزت أرضية العقيدة هذه نتيجة عدة عوامل ، تصدع بناء وحدة هذه الأمة ، وتفككت أوصالها وتفرقت بها السبل ، وتنازعتها الأهواء ، وتداعت عليها الأمم ، وتباطأت بها الخطوات عن التعلق بأسباب الحياة ، فضلاً عن أن تقوم بدورها الريادي ورسالتها الإصلاحية المنوطة بها في هذا العالم ، المتمثلة في الدعوة إلى دين الله الواحد ، وتحكيم منهجه في شؤون هذه الحياة .

من هنا ندرك العلاقة بين التصور الصحيح لعقيدة المسلم ، وبين هذا النسيج

(1) ينظر : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ص 163 ، 322 - 323 ، دار القلم بالكويت ط 5 - 1397 هـ 1977 م.

المحبوك، أو هذا البنيان المرصوص الذي يمثل الوضع الاجتماعي الأمثل الناشئ عن تحقق الآثار العملية التي تنعكس من تلك العقيدة على حياة كل مسلم ومن ثم على حياة الأمة كلها⁽¹⁾.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو إذا كان للعقيدة الإسلامية هذا الدور المهم في الحفاظ على وحدة الأمة، فهل أسهم الفكر العقدي من خلال علم العقيدة بصورته الموجود عليها في بقاء واستمرار هذه الوحدة؟ أم كان عامل فرقة وتناحر وتنازع؟

في الواقع أنه كان أحد عوامل الفرقة والتناحر، وهذا ما يؤكده ابن قتيبة في وصفه للعلوم وأهلها فيقول: "قَدْ كَانَ يَجِبُ مَعَ مَا يَدْعُوهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقِيَاسِ وَإِعْدَادِ آلَاتِ النَّظَرِ - أَنْ لَا يَخْتَلِفُوا كَمَا لَا يَخْتَلِفُ الْحِسَابُ وَالْمُسَاحُ، وَالْمُهَنْدِسُونَ؛ لِأَنَّ أَلْتَهُمْ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى عَدَدٍ وَاحِدٍ، وَإِلَّا عَلَى شَكْلٍ وَاحِدٍ، وَكَمَا لَا يَخْتَلِفُ حَذَاقُ الْأَطْبَاءِ فِي الْمَاءِ وَفِي نَبْضِ الْعُرُوقِ؛ لِأَنَّ الْأَوَائِلَ قَدْ وَقَفُوهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ فَمَا بَالُهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ اخْتِلَافًا، لَا يَجْتَمِعُ اثْنَانِ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ فِي الدِّينِ. فَ" أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَّافُ " يُخَالِفُ "النَّظَامَ" و"النجار" يخالفهما، و"هشام بن الحكم" يُخَالِفُهُمْ،... لَيْسَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ إِلَّا وَلَهُ مَذْهَبٌ فِي الدِّينِ، يُدَانُ بِرَأْيِهِ وَلَهُ عَلَيْهِ تَبَعٌ، فَلَا اخْتِلَافَ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي الْأُصُولِ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَلَوْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْفُرُوعِ وَالسُّنَنِ، لَاتَّسَعَ لَهُمُ الْعُذْرُ عِنْدَنَا، وَإِنْ كَانَ لَا عُذْرَ لَهُمْ، مَعَ مَا يَدْعُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا اتَّسَعَ لِأَهْلِ الْفِقْهِ، وَوَقَعَتْ لَهُمُ الْأُسُوءَةُ بِهِمْ... وَلَكِنَّ اخْتِلَافَهُمْ، فِي التَّوْحِيدِ، وَفِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي قُدْرَتِهِ، وَفِي نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَعَذَابِ أَهْلِ النَّارِ، وَعَذَابِ الْبَرْزَخِ، وَفِي اللَّوْحِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا نَبِيٌّ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَنْ يَعْدَمَ هَذَا مِنْ رَدٍّ مِثْلِ هَذِهِ الْأُصُولِ إِلَى اسْتِحْسَانِهِ وَنَظَرِهِ وَمَا أَوْجَبَهُ الْقِيَاسُ

(1) بحوث ودراسات في العقيدة والفكر والدعوة، الصديق عمر يعقوب ص 63، ط كلية الدعوة

الإسلامية بليبيا 1994م.

عِنْدَهُ، لِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِي عُقُولِهِمْ وَإِرَادَاتِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَرَى رَجُلَيْنِ مُتَّفَقَيْنِ، حَتَّى يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، يَخْتَارُ مَا يَخْتَارُهُ الْآخَرُ، وَيَرْذُلُ مَا يَرْذُلُهُ الْآخَرُ، إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّقْلِيدِ.

فَإِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا أَصْحَابَ الْكَلَامِ، لِمَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْقِيَّاسِ، وَحُسْنِ النَّظَرِ، وَكَمَالِ الْإِرَادَةِ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَتَعَلَّقَ بِشَيْءٍ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ، وَنَعْتَقِدَ شَيْئًا مِنْ نَحْلِهِمْ، وَجَدْنَا "النِّظَامَ" شَاطِرًا مِنَ الشُّطَّارِ، يَغْدُو عَلَى سُكْرٍ، وَيَرُوحُ عَلَى سُكْرٍ، وَيَبِيتُ عَلَى جَرَائِرِهَا وَيَدْخُلُ فِي الْأَدْنَسِ"⁽¹⁾.

فبعدما كان هذا العلم صوت الحق، الذي يثبت هذه العقيدة، ويدعمها ويقيم الأدلة عليها، ويدفع عنها ما قد يرد إليها، إذ به - وبفعل المشتغلين به - يتخلى عن هذا الدور المهم، ليقوم بدور آخر أكثر سلبية وأقل إيجابية في واقع الأمة المسلمة وهو كثرة الجدل الأمر الذي نتج عنه حدوث الاختلاف ووقوع الافتراق نتيجة دخوله لمسائل ثانوية، وتعرضه لقضايا عقيمة، وافتعاله لخلافات مذهبية، الأمر الذي أفقده دوره المنوط به، وأهدافه التي نشأ لأجلها.

فهذا الاختلاف قد جر على الأمة ويلات كانت في غنى عنها، وتتضح خطورة ما وقع فيه قدامى المتكلمين من خصومات فكرية ونزاعات عقلية من خلال عدة نقاط، منها:

أولاً: قد كان من المقبول أن ينشأ خلاف في الرأي حول قضايا جزئية، لا تمس أصول العقيدة الإسلامية، ولا تنال من وحدة الأمة، ولا تخرج عن منهج القرآن، أما أن تتصارع هذه التيارات الكلامية، وتتألف هذه الفرق للتنازع حول قضايا تتصل بأعز ما تملك الأمة وهو عقيدتها، لتخرج بها عن مسارها الصحيح فهذا ما لا يمكن قبوله ..

(1) تأويل مختلف الحديث: أبو محمد بن قتيبة الدينوري ص 62 : 73، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراف: الطبعة الثانية - مزيده ومنقحة 1419 هـ - 1999 م

إن أساسيات العقيدة على وضوحها أدخلت في دوامة من الجدل والكلام، بل الصراع الفعلي الدموي أحياناً بعيداً عن أجواء القرآن بصفائها وألفتها وروحها الموحدة، ونشأ عن ذلك في وقت مبكر كذلك اختلافات في تصورات جزئية وكلية كانت منبتاً للتفرق، وجرثومة لاختلافات لم تبق في إطارها الفكري بل عمت الأمة، فإذا بها طوائف وأحزاب يلعن بعضها بعضاً⁽¹⁾.

ثانياً: أضف إلى ذلك أن جحيم السياسة وتطاحن الأحزاب المختلفة أرسل شواظاً من الأحقاد والمهاترات على ما دار بين الفرق القديمة من جدل حول، طائفة من الأحكام الإسلامية لا تزال إلى اليوم نشقياً بها، ورغم القرون الطويلة التي مرت عليها، وفي ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة، ولو أمكن الوصول إليها فإنه يصعب الاقتناع بها، ومن الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم في مجلس مناظرة تنصيد فيها النصوص، وينشد فيها الغلب، ويلعب فيها بالألفاظ، ويستغل منطق أرسطو في المخاتلة وإيقاع الخصم أمام العامة⁽²⁾.

ثالثاً: كان من المؤمل في علماء العقيدة - وقد تفرقت بهم السبل - أن يعرضوا آراءهم في مسائل العقيدة عرضاً هادئاً رقيقاً، وأن يتدارسوا هذه الآراء فيما بينهم بتجرد وموضوعية، وروح علمية متسامحة، تنأى عن التعصب وتنشد الحق لذاته أياً كان مصدره، ولكن الذي حدث أن الفرق الكلامية قد انغلقت على ذواتها، وانعزل بعضها عن بعض، وصار كل حزب بما لديهم فرحين اعتقاداً من كل فرقة أنها وحدها على الحق وأن غيرها على الباطل، ومن ثم تفشى فيهم داء التعصب الممقوت للرأي والتقليد الأعمى لشيوخ المذاهب، إلى حد أن بعض المقلدين كان يطلع على الرأي السديد في مسألة من المسائل، فيميل إليه معتقداً صحته، و صوابه، فإذا علم بعد ذلك أنه رأي

(1) بحوث ودراسات في العقيدة والفكر والدعوة ص 158، 159، 64.

(2) عقيدة المسلم للشیخ محمد الغزالی ص 6. ط دار القلم دمشق ط 6، 1407 هـ 1987 م.

واحد من شيوخ المذاهب الأخرى سارع إلى رفضه وهجره ، مبرهننا بذلك على خضوعه لمنهج التعصب المرزول ، ولاشك أن هذا المنهج السقيم يؤدي بصاحبه إلى جمود العقل وشلل الفكر، وهجر الحق الذي لا يوافق الهوى والغرض، وفي هذا من السفه والجهالة والبعد عن الصواب ما فيه⁽¹⁾.

رابعاً: آثار النزاعات والشقاق التي ما تزال موجودة حتى اليوم وكما يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله متسائلاً ومتعجباً: " بين المسلمين اليوم نزاع يقصم وحدتهم حول ما دار بين علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة في مسائل الخلافة ، فهل على وجه الأرض أمة تجتر ماضيها السحيق لتلوك منه خلافات قاسية كهذه الأمة؟ ، ولماذا تقحم هذه الأمور إقحاماً في شؤون العقيدة؟ ، ولماذا لا تبقى في نطاق الذكريات التاريخية التي تدرس كأى تاريخ لتؤخذ منه العبرة فحسب؟ ، ... وإني لأقرأ في صحفنا الدينية اليوم نزاعاً بين أتباع السلف والخلف - كما أسموا أنفسهم وأسمع ألفاظ الكفر تتبادل كما تتبادل الكرة أرجل اللاعبين فأهز رأسي عجباً.

إن أعراض المرض لا تزال تعرو الأمة المنهوكة، وما تزال بحاجة إلى عناية الراشدين المخلصين من الأطباء الماهرين ، وقد استقرت رواسب هذا الخلاف الطائش في أذهان العامة ثم سيطرت على سلوكهم بعد ما أخذوا أسوأ ما فيها ورفضوا أفضل ما فيها"⁽²⁾.

5- طرق المتكلمين في الاستدلال :

فمن بين دواعي التجديد في علم العقيدة ، طريقته في الاستدلال على مسائل العقيدة " فكثير من المتكلمين يستخدمون في استدلالهم على العقائد الدينية أدلة جدلية معقدة يصعب فهمها على كثير الناس أمثل دليل الجوهر الفرد الذي استخدم في إثبات

(1) ينظر : مدخل نقدي لدراسة علم الكلام : د/ السنهوتى ص 244-245. دار الثقافة العربية ،

1410-1990 م.

(2) عقيدة المسلم ص8.

وجود الله تعالى أو اعتمد فيه المتكلمون على مقدمات مطولة مشكوك في صحتها أيعسر - فهمها على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل فضلاً عن الجمهور ، وذلك لما تتسم به من طول وخفاء وتفرغ يمنع ثبوت المدعى بها أمّا جعل الإمام الغزالي يقرر على فساد منهج المتكلمين ، حين اعتمدوا على دليل الجوهر الفرد في إثبات وجود الخالق - جل جلاله - وتركوا أدلة القرآن الكريم التي تتسم بالوضوح والجلاء ، والتي نجدها في كثير من آيات الذكر الحكيم ⁽¹⁾ .

وقد جمع الغزالي هذه الآيات في كتابه " جواهر القرآن " وهي قريب من خمسمائة آية " بها ينبغي أن يعرف الخلق جلال الله الخالق وعظمته ألا بقول المتكلمين : إن الأعراض حادثة ، وإن الجواهر لا تخلو عن الأعراض الحادثة أفهي حادثة أثم الحادث يفتقر إلى محدث ، فإن تلك التقسيمات والمقدمات وإثباتها بأدلتها الرسمية يشوش قلوب العوام ، والدلالات الظاهرة القريبة من الأفهام ، على ما في القرآن أن تنفعهم وتسكن نفوسهم أو تغرس في قلوبهم الاعتقادات الجازمة " ⁽²⁾ .

وصار على دربه كثير منهم ابن رشد - الفيلسوف - فيقرر أن طرق المتكلمين في الاستدلال على وجود الله - تعالى - ليست طرقاً يقينية ، ⁽³⁾ ويوافق في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ⁽⁴⁾ .

6 - دخول العقل في غير ميدانه :

فمن بين أهم عيوب علم العقيدة بصورته القديمة إقحام العقل و دخوله فيما لا قبل له به ، فقد حكم هذا العقل العاجز فيما يتصل بالله وصفاته ، كما أدلى بدلوه في أمور

(1) ينظر: على سبيل المثال سورة ق : 6 : 11 أو الطور 35 - 36 أو الواقعة : 57 : 74 .

(2) إجماع العوام عن علم الكلام للإمام الغزالي ص 33 ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ، 1418 هـ - 1998 م .

(3) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ضمن كتاب فلسفة ابن رشد ، لابن رشد ، ص 43 - 44 ، صححه وراجعته مصطفى عمران ، المكتبة المحمودية التجارية ط 3 ، 1388 هـ - 1968 م .

(4) ينظر : النبوات : ابن تيمية ، ص 76 - 77 راجعه وأشرف على تحقيقه الشيخ مصطفى العدوي ، تحقيق الشحات الطحان ، نشر مكتبة فياض ، 2005 م .

المعاد ، دون أن يقف عند حدوده ، أو يعترف بقصوره .

و اللافت للنظر أن المشتغلين بعلم الكلام اتفقوا على محدودية العقل و قصوره ، إلا أنهم لم يلتزموا بهذا ، صحيح أن للعقل مجالاته ، كما أن له قدرة معينة على إدراك الأمور و التمييز بين الحسن و السيئ ، و الجميل و القبيح ، و الطيب و الخبيث ، لكنه مع هذا يقف عاجزا أمام مسائل عدة ، وقضايا كثيرة ، لا قبل له بها .

ف " العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها ، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد و الآخرة و حقيقية النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال .

ومثال ذلك رجل رأي الميزان الذي يزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال .
فاللعقل حد يقف عنده و لا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله و صفاته ، وهنا يظهر أن علة العلل عند المتكلمين هي تحميل العقل فوق طاقته ، ونقله من الشاهد إلى الغائب مع القطع بعدم الشبه بين الإثنين ، و كان الواجب هنا هو الاكتفاء في الغائب بالسمع حيث لا طريق غير هذا"⁽¹⁾ .

7- الجمود والتقليد :

لا يخفى على أحد الدور الذي قام به علم العقيدة في خدمة الدين ، والدفاع عن قضايا العقيدة و إفامة الحججة على مخالفيها ، وقد قام هذا العلم بهذا المهمة خير قيام لفترة طويلة ، لكن الأمر تغير بعد ذلك و أصاب هذا العلم الجمود والإنغلاق و الوقوف عند حدود مسائل بعينها الأمر الذي أفقده جانبا كبيرا من مهمته .

أو بعبارة أخرى يمكن القول بأن علم الكلام مر بمراحل متعددة ، وهي :

أ- مرحلة النشأة و تستغرق زمنيا القرن الأول و أوائل الثاني .

(1) ينظر : علم الكلام بين الكائن وما يجب أن يكون د. بركات دويدار ، مجلة كلية اللغة العربية

للدراستات الإسلامية تصدرها اللجنة الثقافية بالكلية - جامعة قاريونس بليبيا العدد 12 السنة

الثانية - 1394 هـ 1974 م .

- ب- مرحلة التدوين وظهور الفرق و تستغرق زمنيا القرون الأربعة من أوائل الثاني و حتى نهاية الخامس تقريبا .
- ت- مرحلة التطور و الاختلاط بالفلسفة و تشغل القرون من السادس حتى التاسع الهجريين .
- ث- مرحلة الفتور و التقليد من العاشر حتى نهاية الثاني عشر .
- ج- ثم المرحلة الحديثة و تشمل القرنين الأخيرين⁽¹⁾ .
- وهذه المراحل هي التي تشكل التطور التاريخي و الفكري لهذا العلم ، غير أن المرحلة الثانية تعد أهم هذه المراحل على الإطلاق حيث كان الأمر على نحو آخر ، ونمط جديد فبدأت " بحوث المسلمين حول العقيدة تدخل في طور جديد ؛ فتعقد لها حلقات متخصصة ، وتنشأ فيها اتجاهات واضحة ، وتتحول إلى مذاهب متكاملة ، لها آراؤها المتميزة في مختلف مسائل العقيدة لا في واحدة فحسب ، وغالبا ما تعتنق هذه المذاهب فرق أو جماعات فيها القادة وفيها الأتباع لا يقتصرون على وضع أصول المذاهب نظريا أو اعتناقها فكريا ، بل قد ينزعون أيضا إلى تطبيقها عمليا في حياة المجتمع المسلم ، الروحية و السياسية و الإجتماعية و الفنية " ⁽²⁾ .
- ثم تلي هذه المرحلة التي هي أخصب مراحلها نظرا لنضوج الفرق الكلامية ، ونضوج آرائها ، وقدرتها على التفاعل مع الواقع ، مرحلة التطور و الاختلاط بالفلسفة ، ويعد الغزالي و الرازي من أوائل من كتبوا في علم الكلام بهذه الطريقة⁽³⁾ .
- وفي القرن الثامن ظهر رجلا كان لهما شأنهما في القرون الخمسة التالية وهما الإيجي

(1) المدخل إلى دراسة علم الكلام د. حسن الشافعي ص 53 ، نشر- مكتبة وهبة ط 2 ، 1411هـ- 1991 م .

(2) المصدر نفسه ص 71 .

(3) ينظر : مقدمة ابن خلدون 3 / 977 تحقيق د. علي عبدالواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006 م .

، صاحب كتاب المواقف، وتلميذه سعد الدين التفتازاني صاحب كتاب المقاصد، وعلى هذين الكتابين قامت الدراسات العقلية في العلم الإسلامي إلى أخريات القرن - الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي، خلطت فيها الفلسفة بالكلام خلطاً تاماً ، شرحا وعلق عليهما غير مرة⁽¹⁾.

ثم تلا ذلك مرحلة الفتور والتقليد والتي دار العمل فيها حول ترديد آراء السابقين ، وقل أن نجد من يضيف جديدا ، فقد اقتصر العمل على الشرح والتعليق ، والاكتفاء بإعادة العرض و اجترار الماضي فكان جل انتاجها شرحا أو تلخيصا أو نقدا لمواقف السابقين في غالب الأمر ، وقد ران الجمود والتوقع على الفكر الإسلامي بوجه عام خلال هذه المرحلة ، الأمر الذي أفقد علم الكلام دوره ، والوقوف به عند مرحلة لم تعد تجدي في العصر- الحاضر حيث لا تناسب واقع المسلمين ، ولا تفي بمطالبهم ، فضلا عن إغفالة للمشاكل المعاصرة والقضايا المستحدثة⁽²⁾.

وبالجملة فبعد مرحلة الازدهار والتطور والاختلاط الكلامي بالفلسفة ، بدأت أعراض الشيخوخة الفكرية تدب في أوصال علم الكلام الذي دخل في مرحلة التقليد والجمود والركود.

و كانت الدراسات الكلامية في هذه الفترة على النحو الذي وصفه الإمام محمد عبده بقوله: " وتغلب الجهال على الأمر، وفتكوا بما بقي من أثر العلم النظري النابع من عيون الدين الإسلامي، فانحرفت الطريق بسالكها، ولم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الألفاظ ، أو تناظر في الأساليب ، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور ، ثم انتشرت الفوضى العقلية بين المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم فجاء قوم ظنوا في أنفسهم مالم يعترف به العلم لهم فوضعوا

(1) في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه : د/ إبراهيم مدكور 54 / 2 .

(2) المدخل إلى دراسة علم الكلام د. حسن الشافعي ص 122 .

مالم يعد للإسلام قبل احتماله ، غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا .. هذا مجمل من تاريخ هذا العلم ينبئك كيف أسس على قواعد من الكتاب المبين، وكيف عبثت به في نهاية الأمر أيدي المفرقين، حتى خرجوا به عن قصده، وبعثوا به عن حدة⁽¹⁾.

8- وعورة لغة المتكلمين وغموض مصطلحات علم العقيدة ، والتعقيد في أسلوبه :

أحد العيوب التي لازمت علم الكلام القديم ، الأمر الذي نتج عنه توجيه انتقادات لاذعة له .

فالمطالع للمؤلفات الكلامية يجد أنه يسيطر عليها الأساليب الجدلية ، و المصطلحات الفلسفية ، و الجمل المنطقية ، وكلها أمور لا تخلو من تعقيد فضلا عن خلوها من أي تأثير على النفوس نظرا لوعورة لغة المتكلمين وهذا ظاهر وبوضوح في كتبهم ، كما أن مصطلحاتهم كالجوهر ، و العرض ، والكسب، الحال، و التوليد إلى غير ذلك خير شاهد على ذلك .

فهذا الأمر جعل من العقيدة و العقائد من أصعب المواد التي تدرس في جامعاتنا ومعاهدنا ، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ، فإنه من المتعارف عليه لدى المتخصصين أن كتب علم الكتب إنما وضعت وصنفت للرد على المخالفين من شتى الطوائف ، فلم تصنف لتأسيس وتقرير العقيدة ابتداءً ، وهذا مما يزيد في صعوبة فهمها وفهم لغتها .

يتحدث الشيخ محمد الغزالي مشيرا إلى حال ما آلت إليه الكتب الكلامية، وما كان لها من أثر سيء على الأفراد و الجماعات فيقول ما نصه : " وإذا كان علم التوحيد على النحو الذي وصفنا فإن كتبه التي تشيع بيننا الآن فشلت في أداء رسالتها شكلاً و موضوعاً .

فمن ناحية الشكل لا معنى البتة لعرض علم ما، في توزيع مضطرب بين متن

(1) رسالة التوحيد ، الشيخ محمد عبده ص 23-24 ، تصدير د عاطف العراقي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة

وشرح وحاشية وتقرير، وفي لغة ركيكة اللفظ سقيمة الأداء، لغة تصور سقوط البلاغة العربية على عهد الحكم التركي.

وتطور الأدب في عصرنا هذا لا ينكر، وقد بلغ من تمكن المؤلفين والمتأديين في اللغة أن تناولوا الموضوعات التافهة فأخرجوها في ألبسة زاهية، ووجهوا ألوف القراء - بسحر بيانهم - إلى ما يريدون. فهل يبقى الكلام في العقائد وحدها حكراً على هذا النمط الزري من الحواشي والمتون؟

على أننا إذا تغاضينا عن الشكل، وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص، لا نلبث أن ندرك أن هذا الجانب من الثقافة الإسلامية طغت عليه الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم، فإذا بعلم العقيدة تتحول عن مجراها العتيق، وإذا بكتب الفلاسفة تزدحم باصطلاحات الفلاسفة وطرائق تفكيرهم⁽¹⁾.

9 - ما يؤديه النظر في كتب علم العقيدة ومقالات المتكلمين :

فالنظر في كتاب الكلام ومقالات المتكلمين يورث الإنسان تشتتاً في الفكر واضطراباً في الوجهة وتشويشاً في العقيدة أو مبعث ذلك هو اختلاف مذاهب المتكلمين وتباين مقالاتهم وتعارض أدلتهم أو من ثم اتهم المتكلمون بأنهم أصحاب مذاهب متهافئة وحجج واهية⁽²⁾، وقد صور الإمام أحمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ) هذه المذاهب الكلامية المتناقضة أدق تصوير في رسالته "الغنية عن الكلام" فقال: "فلا تشغل - رحمك الله - بكلامهم أو لا تغتر بكثرة مقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض أو ما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازنه أو يقاربه أو فكل بكل معارض أو بعض ببعض مقابل، وإنما يكون تقدم الواحد منهم وقلجه على

(1) عقيدة المسلم للمرحوم/ الشيخ محمد الغزالي ص 9-10 .

(2) ينظر : التجديد في علم الكلام د/ عبد الحميد مذكور : ص 1211 الملحق الثاني ضمن أبحاث موسوعة العقيدة الإسلامية ، إشراف و تقديم د، محمود زقزوق ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1431 - 2010 م ، مدخل نقدي لعلم الكلام د. محمد السنهوري ص 245-246 .

خصمه بقدر حظه من البيان وحذقه في صنعة الجدل والكلام ... ، وهذا من أدل الدليل على أن مذاهب المتكلمين فاسدة" (1).

وغير خفي أن هذه المناهج الجدلية والمقالات المتناقضة لا يمكن أن تقضي - إلى اليقين التام والإيمان الجازم في مسائل العقيدة - وهذا ما أشار إليه أبو حامد الغزالي وهو من هو في علم الكلام ، فيتحدث عن الإيمان الناتج عنه فيقول: "إن الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة" (2).

وقوله: "فأما معرفة الله - تعالى - وصفاته وأفعاله فلا يحصل من علم الكلام أبـل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً منه أو إنـما الوصول إليه بالمجاهدة" (3).

وبعد أن ساق أقوال العلماء في ذم علم الكلام ، واعتراض المعترضين عليه و أدلتهم نراه يقول: "ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرّة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق ، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبدعة للبدعة وتثبيتته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ، ولكن هذا الضرر بواسطة التعب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فإنه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدرُوا على نزع البدعة من

(1) صون المنطق : ص 99 أو 100 .

(2) المنقذ من الضلال للإمام للغزالي : ص 118 : 121 ، تحقيق د. عبدالحليم محمود مع أبحاث في التصوف ، طبع دار الكتاب الحديثة ، ط 7 - 1972 م .

(3) إحياء علوم الدين : للإمام الغزالي 1 / 23 . نشر: دار المعرفة - بيروت بدون .

صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله - تعالى - لك الغطاء ، ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره ، وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيئات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف ، والتعريف ، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة ، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين ، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم آخر تناسب نوع الكلام ، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ، ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على الدور في أمور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صناعة الكلام"⁽¹⁾ .

10 - اعتماده بصورة كبيرة على المنطق اليوناني :

فمن بين أهم العيوب التي وجهت لعلم العقيدة الموجود هو اعتماده على المنطق الأرسطي في كثير من مسائله ، وهو كما نعلم منطق لا يهتم بصلة الفكر بالواقع بل يهتم اتساق الفكر مع ذاته ، وبناء على ذلك زحف الجدل حول مسائل مطروحة ليقطع خيوط التواصل بين العقيدة والحياة ، فعقيدة التوحيد التي كان يعيشها الإنسان المؤمن في بدايات البعثة ممارسة حياتية تطبع سلوكه وأخلاقه لكها صارت فيما تدور في مدارات عقلية بعيدة عن هموم الحياة⁽²⁾ .

(1) إحياء علوم الدين : للإمام الغزالي 1 / 97 .

(2) ينظر : إشكاليات التجديد ، ماجد الغرباوي ص 37 سلسلة قضايا إسلامية معاصرة ، دار

الهادي بيروت ط 1 2001 م .

فنحن لا نجد في كتاب من كتب علم الكلام القديم متكلماً يوجهنا إلى الآثار المترتبة على الفرد و الجماعة على مبدأ الوحدانية ، فالتكلم يبحث عقلاً أو نقلاً هذه الوحدانية أما ما يعنيه هذا التوحيد للمؤمن في حياته اليومية فهو أمر لم يتعرض له ⁽¹⁾ . فالمؤلف لا يذهب إلى أبعد من تقرير أو عقلي لهذه الوحدانية في وجود الله، أما ما يعنيه هذا بالنسبة للمؤمن في حياته اليومية أو الزمنية المشخصة فهو أمر مهملاً تماماً.. والواقع أن علم الكلام الكلاسيكي الذي خاض معارك مجيدة في وجه خصوم الإسلام، وحفظ للعقيدة الإسلامية تماسكها وصرامتها المنطقية وأصولها الراسخة، فقد كان عاجزاً في صورته المجردة للمنطقة، عن أن يقوم بدور حيوي فعال في الحياة الزمنية والروحية للإنسان المسلم ⁽²⁾ .

11 - اسمه الذي اشتهر به :

فمن بين أهم الانتقادات التي وجهت لهذا العلم واعتدي عليه بسببها هو اسمه المشهور به وهو علم الكلام ، فهذا الاسم للوهلة الأولى يثير لدى البعض نوع من النفور منه ، و الدعوه إلى هجره و استبعاده باعتباره لا يمثل العقيدة الحقة الموحى بها من عند الله ، بل هو من وجهة نظرهم علم مدعاة للفرقة و الاختلاف ، يعنى بالأساليب الجدلية و المفاهيم المنطقية و البحث في القضايا العقدية من منظور فلسفي يجافي العقيدة ، و يصادم الواقع ، ومن ثم تغير شكل العقيدة ، ونفرت النفوس منها ، فهو علم لا تأثير له على النفس إذ هو يركز على الناحية النظرية ، و لا صلة له بالناحية العملية الأمر الذي جعل منه علماً لا صلة له بالواقع ، و لا حظ للنفس منه .
و غير خفي أن هذا الكلام في غير محله خصوصاً إذا ما وضع في الحسبان النشأة الأولى لهذا العلم ، وكيف أنه قام على الكتاب و السنة ، لكنه ولظروف معينة و في

(1) أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي ، فهمي جدعان 187 الحديث دار المشرق عمان ط 3 ، 1988 م .

(2) نفس المصدر ص 193 - 194 م .

أوقات خاصة ، تطور ووصل إلى ما وصل إليه ليلاءم الواقع الموجود من ناحية ، و يدفع عن العقيدة ما قد يرد إليها من ناحية ثانية ، ويعمل على قيادة الأمة في مسيرتها الحضارية .

و رغم أن الظروف هي التي دفعت بعلم العقيدة إلى أن يكون بهذه الصورة فإنه لا مانع من استعمال مسمى آخر يلقي بالقبول ، و يناسب أفهام العامة و الخاصة .

و على ما يبدو لي أن هذا الاسم هو اسم العقيدة ، إذ هو يتناول بالبحث العقيدة الدينية سواء ما يتصل بالألوهية أو بالرسول و الرسالة ، و المعجزة و إمكانها و وجه دلالتها على صدق الرسول ، و اليوم الآخر بما فيه ، باعتبار أنها أمور تطلب من المكلف الإيمان الجازم بصحتها ؛ فكأن الثمرة المرجوة من هذا العلم هي انعقاد القلب علي هذه العقائد الدينية انعقادا لا يقبل الإنفكاك أبداً ، بناء على وضوح الأدلة ، فهذه التسمية قد روعي فيها الثمرة أو الفائدة المرجوة من هذا العلم ، و هذا ما أكدده شارح المقاصد⁽¹⁾ .

" وبالرغم من عدم وجود هذا المصطلح بهذا اللفظ في القرآن الكريم ، إلا أن هذه التسمية قد لاقت رواجاً في الأوساط العلمية و غير العلمية ، بين الدارسين المتخصصين في هذا المجال ، و بين غيرهم من عوام الناس " ⁽²⁾ .

و أرى أن هذه التسمية هي أولى أن تطلق علي هذا العلم من غيرها .
هذه هي أهم العوامل التي تتعلق بعلم الكلام و التي تجعل من تجديده ضرورة عصرية ، بل و لا نغالي إذا قلنا أنها ضرورة دينية تدفع إليها نصوص الدين دفعا .

ثانياً : الأسباب العامة الداعية إلى ضرورة تجديد علم العقيدة :

بعد أن عرض البحث للأسباب المتعلقة بعلم العقيدة و التي تجعل من الأهمية

(1) ينظر : شرح المقاصد 1 / 190 ، العقيدة الإسلامية د . محمد نصار 13 : 18 ، و لمزيد حول هذه المسألة ينظر مبحث أسماء علم العقيدة من هذا البحث .

(2) ينظر : دراسات في العقيدة الإسلامية د . فتحي الزغبى ص 71 .

بمكان ضرورة النظر فيه ، و العمل على تجديده ، ليلاءم طبيعة العصر ، و يتناسب مع المشكلات الموجودة ، و التيارات المعاصرة ، أرى من الأهمية الإشارة إلى بعض المبررات العامة التي تدفع كذلك إلى هذا الأمر ، وهذه المبررات هي :

1 - طبيعية العصر ، ونوعية القضايا والمشكلات :

فمن المعلوم أن العصر الذي نعيشه يختلف في جوانبه المختلفة عن العصور الأولى التي نشأ فيها علم العقيدة ، كما أن القضايا المطروحة ، تختلف عن سابقتها ، بحكم عناصر الزمان والمكان و البيئة ، فضلاً عن طبيعة العقول ، ومستجدات الأمور ، ومثل هذه الأمور تجعلنا في حاجة ماسة إلى علم عقيدة جديد آلائم ظروف العصر ويناسب طبيعة المرحلة التي نعيشها أولاً وتقف إمكاناته وتطلعاته وأهدافه عند حدود علم العقيدة القديم الذي وقف في تطوره عند عصر الإيجي ، و التفتازاني⁽¹⁾ والذي انتهى به الأمر إلى أن انعزل عن التيارات الثقافية والعلمية المعاصرة أو انزوى داخل قاعات الدرس بالمعاهد العلمية المتخصصة واستمر يردد قضايا التاريخ المألوفة ومسائله القديمة المعهودة أدون مواجهة صريحة لمشكلات العصر وقضايا الساعة أدون اشتباك جاد مع التيارات الإلحادية المتشعبة والاتجاهات الفكرية المنحرفة أو المذاهب الفلسفية المضلة التي ظهرت بين المسلمين في العصر - الحاضر نتيجة انفتاحهم على الثقافات الوافدة والفلسفات الغازية انفتاحاً واسعاً لا تقف أمامه الحدود⁽¹⁾.

ف" العقيدة الصحيحة - في يوم الناس هذا - تقتضي أن يكون منهج الدعوة إليها ، ونقض ما سواها متجاوزاً الأدلة النظرية ، أو على أقل تقدير غير معول عليها وحدها ، بل ينبغي أن يتخذ من التقدم العلمي المعاصر مادة يشتق منها أدلته في الدفاع عنها في مواجهة الرافضين"⁽²⁾.

(1) المدخل نقدي لدراسة علم الكلام ص 254 .

(2) العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر إطار التجديد و ضوابطه ، د ، محمد عبدالستار نصار 1131-1132 ضمن أبحاث مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي 2002 م .

2- تعدد الثقافات :

فمن المعلوم أن الثقافة اليونانية كان لها الأولوية على غيرها من الثقافات ، كما كانت أساسا لتكوين علم العقيدة القديم ، أما اليوم فإن الثقافة الغربية تعد أساسا لتكوين علم العقيدة الجديد ، فإذا كان اختيار القدماء موزعا بين فلاسفة اليونان خصوصا أفلاطون و أرسطو ، فإن اختيار المحدثين سيكون موزعا بين سقراط الذي حاول تحليل الشعور قديما لإيجاد الحقيقة الباطنية فيه من خلال العبارة الشهيرة التي قرأها على جدران أحد المعابد وهي " اعرف نفسك بنفسك " و هو سرل الذي حاوا حديثا تحليل الشعور من خلال قوله " في باطنك أيها الإنسان تكمن الحقيقة ، وبين الواقعية التجريبية التي أسسها بيكون وهيوم ، وبين ديكرات و كانت و هيجل الذي أكمل المثالية الأوربية وماركس الذي اكتشف طريق المجتمع الشيوعي⁽¹⁾ .

3 - طبيعية النصوص الدينية وقابليتها للتجديد :

فمن المعلوم أن رسالة الإسلام خاتمة الرسالات ، وكلمة الله الأخيرة للعباد ، وقد أدوع الله فيها من المقومات ما يجعلها رسالة عالمية ، تصحب الإنسان في جميع أزمانه ، و عصوره ، وهذا يعني صلاحيتها لكل زمان ومكان ، فلا يعترضها نسخ أو زوال ، ولا عقم ولا جمود ، وبهذا استحق الإسلام أن يكون دينا عالميا .

ولهذا الدين مصدرين أساسيين هما الكتاب و السنة ، فهما الأساس لكل مسلم ، منهما يستمد عقيدته ، و يتعلم أمور دينه ، ويقف على شوؤن حياته ، ويجد جوابا لمشكلة المتنوعة من ثقافية أو اجتماعية أو سياسية الخ ...

" و الفكر الإسلامي الأصيل يقوم على الثقافة القرآنية ، وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، و أصالة الفكر الإسلامي وعراقته مقرونة بمقدار قربه من القرآن و السنة

(1) ينظر : نحو علم كلام جديد د. حسن حنفي ص 204 ، بحث منشور في مجلة قضايا إسلامية العدد الخامس 1997 م ، إشكالية التسمية لعلم الكلام الجديد أنوال طه ياسين ص 400 ، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) ، المجلد 36 العدد 2 ، 2011 م .

أو بعده عنهما ، ومدى موافقته لهما أو مخالفته ؛ لذلك يرى علماء الإسلام ضرورة التفريق بين الإسلام المتمثل في القرآن و السنة ، و بين فكر المسلمين الذي يمكن أن يوصف بالقوة و الضعف و بالصواب أو الخطأ⁽¹⁾.

باعتبار أنه فكر بشري محدود بحدود الزمان و المكان ، و من ثم فليس له ما للنصوص الدينية من قداسة ، و بالتالي يمكن إعادة النظر فيه و تقويمه ، والعمل على تجديده و تطويره .

خصوصا إذا ما وضع في الحسبان أن القرآن الكريم و السنة المباركة هما لكل العصور ، و تخاطب بهما - من ثم - جميع الأجيال ، علمنا أن التراث الإسلامي تشكل داخل التاريخ ؛ لأنه يمثل صور الفهم و التنزيل السابقة في عصر - دون عصر - أو في عصر من العصور ، و لهذا فإن في وسعنا أن نتحدث عن تاريخية التراث ، لا عن تاريخية الإسلام ؛ لأن مصادر الإسلام الأساسية - القرآن و السنة - لم تتشكل داخل التاريخ ؛ لأنها وحي يوحى بل إنها هي التي دار حولها التاريخ .

و غنى عن البيان أن ما تكون داخل التاريخ - التراث - يخضع لحركته ، و من ثم فإن جملة علوم الشريعة أو علوم الثقافة الإسلامية شروح المفسرين ، واجتهادات الفقهاء ، و تراث المتكلمين ، ... إلخ تخضع لهذه الحركة ، و لا ترتقي إلى درجة الثبات و الخلود ، و لا يجوز لنا أن نتعبد بها أقساماً و فروعاً و أسماء و اجتهادات و مضامين ... إلخ على النحو الذي تركته الأجيال السابقة ، و لا يمكن لها أن تكون في مستوى النص الإلهي أو النبوي .

إن التطوير و التجديد في علوم الشريعة ليس من حقنا فحسب ، بل من واجبنا كذلك ، و لكن إخضاع التراث لهذا التطوير ، أو لحركة الرد و القبول ، ينبغي أن يكون

(1) التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر دراسة نقدية في ضوء الإسلام ، د. محمود بكار ص 9 ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ط 1 - 1426 هـ 2006 م .

أسسها و معاييرها موضوع عناية المشتغلين بعلوم الشريعة - عموماً وعلم العقيدة خصوصاً - وموضع اجتهادهم ، بل أن تكون موضوعاً خصباً لحوارهم وندواتهم⁽¹⁾ . وبناء عليه فإن الاجتهاد الكلامي يستوعب غربة الواقع بأزماته ومشكلاته المزمنة، ويتجاوز غربة التراث، ذلك أن التراث ينتمي إلى واقع مضى، فالإصرار على استدعائه بتمامه يعنى استدعاء ذلك الواقع، وبالتالي إلغاء عنصرَي الزمان والمكان، ونفى الصيرورة والتحول، والنزوع إلى سكونية لا تاريخية، يتكرر فيها الماضي والحاضر والمستقبل وتغدو عملية التقدم هروباً من العصر، وتوغلاً في الماضي واستئنافاً للأفكار والمواقف والنماذج التاريخية ذاتها⁽²⁾ .

4 - كون التجديد مطلب ذاتي في الإسلام :

فمن بين المبررات العامة التي تدفع بالقول إلى ضرورة التجديد في علم العقيدة هو أن التجديد مطلب ذاتي في الإسلام ، " فالإسلام بمعناه العام رسالة من الله إلى الناس جميعاً ، وهذه الرسالة تشمل جميع الأديان ، و بالتالي فالأديان جميعها جاءت لتغير حياة الإنسان و المجتمع و إصلاحها ، و الأخذ بيد الفرد و الجماعة على السواء نحو التقدم و التطور ، و حينما جاء القرآن الكريم ... استطاع أن ينقل العرب ... إلى أمة عظيمة و يحدث تغييراً جذرياً في حياتهم فينقلهم لوضع جديد يقودون الأمم و الشعوب لسلم الحضارة ... فالإسلام بطبعه يدفع بالتطور و التقدم"⁽³⁾ . وهذا ما حدا بأحد العلماء إلى القول بأن : " إسلامنا الذي عرفناه و حيا منزلنا من

(1) ينظر: منهجية التعامل مع علو الشريعة في ضوء التحديات المعاصرة: د/ عدنان محمد زرزور ص 106-107 ضمن أبحاث العدد الثاني عشر من حويله كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر 1994 م.

(2) الاجتهاد الكلامي الكلامي مناهج و رؤى متنوعة في الكلام الجديد ، عبد الجبار الرفاعي ص 13 ، ط دار الهادي بيروت - 2002 م .

(3) تجديد الخطاب الديني د أحمد عرفات القاضي ص 35 .

لدن قيوم السموات والأرض ، والذي تتوهمونه مجموعة مواصفات أنظمة بشرية قد نبه الرعيل الأول من المسلمين من مبادئه وأحكامه على قانون كان ولا يزال نافذا لا يشذ ولا يلحقه أي خلف .. يتلخص هذا القانون في أن من شأن الإسلام أن يبعث على التطور دون أن يتطور هو بحد ذاته ، أي في مقدار ما يكون المسلمين أمناء على الإسلام وأحكامه لا يعبثون بها ، ولا يغيرون منها ' فإنه يدفع إلى مراقبي التقدم والتطور دون توقف ، وبمقدار ما يتلاعبون به ويستبدلون بشرائعه وأحكامه تنبعث فيهم عوامل التخلف والركود" (1).

و بالجملة فإن التأمل الهادي " في طبيعة رسالة الإسلام - كيان من الله يتخطى حدود الزمان والمكان - ويبرهن على مسلمة التجديد إن لم تكن هي والإسلام وجهان لعلمة واحدة فإنها - على أقل تقدير - إحدى مقوماته الذاتية ' إذا تحققت تحقق الإسلام نظاما فاعلا في دنيا الناس ، وإذا تجمدت تجمد وانسحب من مسرح الحياة ، ... بل يثبت هذا التأمل أن تاريخ الإسلام - في أزهى عصوره - يشهد على هذه العلاقة التي لا تفصم بين التجديد وحيوية الإسلام ، كما يشهد على العلاقة ذاتها بين الجمود وانزوائه إلى ركن قصي عن الحياة وعن المجتمع" (2) .

5- التحولات التي ظهرت في العلوم المختلفة :

فلا يخفى على أحد ما شهده العالم في القرون الأخيرة من تحولات متنوعة في مختلف العلوم نتج عنها تحولات كذلك في العقائد والأفكار " حتى وسم القرن التاسع عشر - في أوروبا بعصر الإلحاد ثم اتسم القرن العشرون بأنه عصر الانفتاح وتقريب المسافات بين الأمم والشعوب حتى ظهر العالم في آخر القرن و كأنه قرية صغيرة ، ثم كان التقدم

(1) الإسلام بين التجديد المطلوب والتبديد المرفوض د. محمد سعيد البوطي ، ص 166-167 ، مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 2002 م

(2) ضرورة التجديد : د . أحمد الطيب ص 141-142 ، مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العلمي الهائل في النصف الأخير من القرن التاسع عشر- و القرن العشرين أثره على الدين سلبا وإيجابا في آن واحد⁽¹⁾.

فأما الجانب السلبي : فقد تجلي في مواقف بعض العلماء والمفكرين الذي خرجوا على الدين ورفضوه وهاجموه بدعوى أنه من إرث الماضي لا صلة له بالواقع ، في حين أن الاكتشافات العلمية والبحوث التجريبية يجيبان عن كل ما يحتاج إلى إجابة حتي في مسائل الغيب وعالم ما وراء الطبيعة .

و أما الجانب الإيجابي : فيتمثل في مواقف بعض العلماء التجريبيين الذين نظروا بموضوعية من خلال أبحاثهم إلى العالم وما فيه ، و انتهوا إلى الإعتراف بوجود قوة تحكمه ، تعنى بأمر ، و ترعى شوؤنه هذه القوة هو الله تعالى ، و قد انتهى هؤلاء إلى ما انتهوا إليه من خلال منهج صحيح ربطوا فيه بين العلم والدين ، وهذا ما يجب أن يكون عليه علم العقيدة الجديد فمن خلال هذا المنهج

" تتواري كل صيحات الإلحاد باسم العلم ... إن البحوث الجادة التى أفرزتها عبقرية فريق من الباحثين الأمريكيين الجادين في كثير من مجالات العلوم المختلفة ، مما ترجم إلى لغتنا تحت اسم " الله يتجلى في عصر العلم " إنما نعهده أولا : وضع العلم التجريبي في وضعه الصحيح ، و ثانيا: تدعيم الإيمان و تقويته بما تقدم من أدلة عملية مباشرة ، تنسق و طبيعة العصر على وجود الله تعالى ، وهي أدلة تقوم في عمومها على مبدأ فطري عام هو مبدأ السببية ، الذي في ظله تتوارى تلك المقولات التي لا تنسق مع العقل الصريح و لا مع الدين الصحيح ، و لا مع العلم الحقيقي في شيء ، و التي تبرر الإلحاد كالقول بالمصادفة ، و العشوائية في إيجاد الأشياء ، أو القول بأن الكون علة نفسه"⁽²⁾.

(1)العقيدة الإسلامية في الواقع المعاصر : ص 1131 .

(2)المصدر نفسه .

إن المهمة الملاقاة على علم العقيدة خطيرة و ثقيلة ، و ما لم يطور من نفسه ، ويعمل على التفاعل مع الواقع الموجود ، تصبح العقيدة الإسلامية عرضة لإثارة الشبه ، و الطعن فيها والهجوم عليها .

إن العقيدة الإسلامية تمثل الجانب الغيبي في الإسلام ، وهذا أحد أهم جوانب الهجوم عليها و الطعن فيها - فهي لا تخضع للتجربة - و تنمي لعالم ما وراء الطبيعة أي العالم الذي لا يحس ، مما يبرر الطعن فيها عند خصومها ، وهذا الأمر يجعل من التجديد لعلم الكلام ضرورة ملحة حتى يستطيع المتكلم المعاصر أداء مهمته بنجاح ، و يتمكن علم الكلام من القيام بدورة في حفظ الدين وخدمة العقيدة ، كما يسهم في البناء الحضاري للأمة كما تعودنا عبر عصوره و مراحلها المختلفة .

فلا يمكن أن يقف الأمر بعلم العقيدة و علمائه " عند الصور القديمة، وهي مسألة تحتملها الضرورة الشرعية، ألا ترى أن قوله: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)⁽¹⁾ .

يؤيد ما نذهب إليه؟ فالحكمة تعني وضع الشئ في نصابه ، وهذا بالضرورة يقتضي معرفة الملايسات والأحوال والظروف المحيطة بمن يأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله . ولما كانت إنجازات العلم التجريبي على هذه الشاكلة التي صورناها قبلاً، فإن على علماء العقيدة أن يطوروا منهجهم على الصورة التي يفهمها منطق العصر .

ولو أنهم ظلوا متشبثين بطرقهم القديمة حين التصدي لأصحاب الاتجاهات الملحدة، فلن يفيد ذلك شيئاً، فلغة اليوم في الحوار بين الأديان أو بينها وبين التيار الأحادي ، تخالف إلى حد بعيد لغة الأمس ، ولا شك في أن هذا الأمر سيكلف الباحثين في ميدان العقيدة الشئ الكثير، حيث يلزمهم المنهج الجديد أن يقفوا على كل منجزات العلم، ويوظفوها بذكاء في خدمة العقيدة"⁽²⁾ .

(1) سورة النحل: 125 .

(2) منهج البحث في العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر ص 300 ضمن أبحاث العدد الثامن من حويله كلية الشريعة بجامعة قطر لعام 1990 م .

6- التطور المستمر في الحياة :

أن التطور والتجديد في الحياة سنة كونه ، وهذا التطور في الحياة لا بد وأن يكون مصحوبا بفكر متجدد ، ينبع عن رؤية لقضايا الإنسان واهتماماته ' فإن الإنسان مهما بلغ مقدار التطور في حياته فإنه يحتاج إلى جانب ذلك التطور فكرا يشبع عقله وروحه ، يتوافق وكلما كان الفكر متجددا متوافقا مع النهضة التي يعيشها المجتمع ، كلما كان الإشباع أكمل ، مما يعكس أثر إيجابيا على حيوية المجتمع ونشاطه .

7- تلبية حاجات الإنسان العقيدية والفكرية :

معلوم أن الإنسان كائن حي ، له حاجات متعددة ، وهذه الحاجات تختلف من عصر إلى عصر ، ومن مكان إلى مكان ، ومهمة الفكر الأساسية هي تلبية حاجة الإنسان بمختلف أنواعها ، وهي مقياس نجاحه ، فكلما كان الفكر ملبيا لحاجة الإنسان المشروعة كلما كان فكرا ناجحا ، والعكس بالعكس ، فالفكر الناجح هو الذي يلبي حاجات الإنسان المشروعة المتجددة مهما اختلفت العصور والأمكنة بقابليته للتجديد ، فالتجديد في الحقيقة هو الإجابة الإسلامية عن التحديات المستجدة والإشكاليات المتولدة في كل عصر ، وهذا ما يجب أن يكون عليه علم الكلام الجديد نظرا لتجدد المشكلات ، وتنوعها.

8- حل المشكلات وإيجاد البدائل :

ما من مجتمع على وجه الأرض إلا وله مشكلاته المختلفة ، والفكر النافع هو الذي يقدم حلولاً لمشكلات مجتمعة ، ولا شك أن المشكلات تتجدد بتطور المجتمع فتظهر مشكلات لم تكن موجودة من قبل ، فيستلزم ذلك فكرا جديدا أو متجددا لحل هذه المشكلات ، كما أن حاجتنا إلى التجديد تظهر جلية في إيجاد البدائل للأفكار التي يطررها الفكر المخالف ، والتي تتعارض مع الإسلام ، وهذا هو الدور الرئيس لعلم

العقيدة الذي قام من أجله ⁽¹⁾.

9- التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه امتنا :

فمن المعلوم أن العالم الإسلامي يتعرض لجملة من التحديات الداخلية و الخارجية تعمل على القضاء عليه و إذابة هويته ، ففي الداخل و الخارج هناك " مشكلات حقيقية تواجه الخطاب الديني المعاصر ، و تستلزم مواجهتها و التعامل معها بإيجابية و واقعية ، و تعد هذه المشكلات تحديات حقيقية يجب مواجهتها بوضوح و شجاعة و لا يجدى معها مجرد الإقرار بوجودها ، و لكن يجب العمل الإيجابي لمواجهتها " ⁽²⁾.

و من هذه التحديات حملات الغزو الفكري التي توجه إلى الإسلام أو تشير الشبهات حول عقائده و مبادئه و تشريعاته أو حول شخص الرسول صلى الله عليه وسلم و سيرة صحابته الأخيار - رضي الله عنهم - بهدف تشكيك المسلمين في عقيدتهم و شريعتهم و قرآنهم و سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

فضلا عن هذا يواجه العالم الإسلامي في الوقت الحاضر خطرا كبيرا يكاد يقلع جذوره ، و يهشم الدور الذي يحياه ، و هو خطر العولمة ⁽³⁾، حيث يري البعض أنه

(1) ينظر : التجديد في الفكر الإسلامي د. محمود بكار ص 139 ، ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي د. خالد عبدالله الشعيب ص 100 : 102 ، مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي المجلس الأعلى لشئون الإسلامية بمصر 2002 م .

(2) تجديد الخطاب الديني د. أحمد عرفات القاضي ص 63 و ما بعدها .

(3) للعولمة ، تعريفات متعددة منها أنها وجه جديد للاستعمار ، و صورة حديثة لاستنزاف ثروات الشعوب ، و الاستيلاء على مواردهم ، و لكن بصورة تناسب و حال العصر - ، و طبيعية الفكر ، و بهذا تكون العولمة خرجت عن ما قصد لها . فالعولمة لم تكن - كما كان - يرجى لها ، فقد كان يراد منها أن يسود في العالم ثقافة إنسانية تناسب كل الناس و تساعد على تعاونهم و تطورهم و الاستفادة من خيرات بعضهم بعضاً . و قيل هي : " الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط و النظم الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية و مجموعة القيم و العادات السائدة و إزالة الفوارق الدينية و القومية و الوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة ، و التي تزعم أنها سيدة الكون و حامية النظام العالمي الجديد للوقوف على مزيد من التعريفات للعولمة ينظر للباحث : القيم الدينية و ثقافة العولمة . ص 84 : 87 بحث منشور بمجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية السنة الثالثة - العدد الثالث رمضان 1432 هـ أوت 2011 م اتحاد الجامعات العربية .

وضعت خاصة لمواجهة الإسلام و القضاء على نهضة المسلمين ، وبث القيم المادية بدلاً من القيم الدينية التي تنبع من أصول عقيدتهم⁽¹⁾.

تعقيب :

من خلال ما تم عرضه من أسباب و مبررات الدعوة إلى تجديده سواء ما يتعلق منها بالعلم الجديد أو ما يتعلق بالأمور العامة ظهر جلياً أن التجديد ضرورة حتمية بل هو ضرورة شرعية و عقلية و إيمانية ، فنحن في في حاجة ماسة إلى علم كلام جديد يأخذ على عاتقه مهمة التصدي للتحديات الداخلية و الخارجية ، و تقديم العقيدة الإسلامية في ثوب قشيب يأخذ بالألباب و يؤثر في النفوس و القلوب ، وفي ذات الوقت مدافعا عن الإسلام مستخدماً في دفاعه كافة الأسلحة التي تمكنه من مواجهة هذه الحملات و دحض هذه المفتريات الباطلة التي يراد بها الكيد للإسلام و المسلمين والتي هي في الواقع تجسيد لخطة كبيرة تستهدف تشويه الإسلام أو عزله عن واقع المسلمين أو تغيير الناس منه أو جذب بعض ضعاف المسلمين إلى غير الإسلام أو إضعاف ثقة المسلمين بدينهم و تراثهم أو بث روح الشك في كل ما بين أيديهم من عقيدة و قيم و مثل علياً ليسهل على عدوهم النيل منهم .

(1) ينظر : التجديد في الفكر الإسلامي د. محمود بكار ص 140 - 141 .

المبحث الرابع

أسس التجديد في علم العقيدة المعاصر

أو (محاوالتجديد لعلم العقيدة المعاصر)

مما لا شك فيه إن واقع المسلمين في العصر الحاضر يؤكد على أهمية علم الكلام وقيمة الدور الذي يقوم به في خدمة الدين ، والدفاع عن العقيدة خصوصاً إذا ما وضع في الحسبان " أن المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر تشبه - إلى حد كبير - المجتمع الإسلامي في طور نشأته أمن حيث سرعة حركة التغير وشدها في كل منهما ... و تتصف المجتمعات الإسلامية الحاضرة - أيضاً - بشدة تقبلها للأنماط الثقافية المحدثه للتغير ، نتيجة أن هذه المجتمعات على درجة شديدة الهبوط من التخلف المدني بالنسبة للمجتمعات التي انفتحت عليها ، فمن ثم كانت على استعداد أعظم للأخذ عنها والاقتراء بها "(1).

هذا ، وإذا كان علم العقيدة قد وصل في مرحلة من مراحل إلى عصر كاد يخلو من موجة الإلحاد أمن ثم بردت أسلحته الدفاعية ولم يعد وجوده ضرورياً في ذلك العصر - وهذا ما يقرره ابن خلدون بقوله : "و على الجملة فينبغي أن يعلم أن هذا العلم - الذي هو علم الكلام - غير ضروري لهذا العهد على طالبي العلم إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إيهاماته وإطلاقه "(2).

إلا أن الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر تقتضي - ضرورة وجود علم الكلام مرة أخرى أليؤدي وظيفته و يقوم بدوره المنوط به ، فواقع المسلمين

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص 313 - 314 .

(2) مقدمة ابن خلدون ص 327 ط دار ابن خلدون بالأسكندرية .

اليوم بحاجة ملحة إلى قيام علم يقوم بحراسة العقائد الإسلامية على الوجه الذي قام به علم الكلام في عصر النشأة⁽¹⁾.

نحن إذن في حاجة ماسة إلى علم كلام متطوراً يلائم ظروف العصر وطبيعة المرحلة التي نعيشها أولاً وتقف إمكاناته وتطلعاته وأهدافه عند حدود علم الكلام القديم و يكون ذلك من خلال مايلي :

أولاً : محور الهدم .

علم الكلام المعاصر الذي ننشده أو نتطلع إليه في الوقت الراهن ألا بد أن يقوم على أسس جديدة أو دعائم متطورة تساعد على النهوض بالتبعية الثقيلة الملقاة على عاتقه وحتى يتحقق ذلك لا بد له من عدة أمور ، وهي :

أ- ضرورة تجاوز جميع السلبات التي وقع فيها علم الكلام في عصره القديم وأهمها:

1- الانشغال عن مواجهة الخصوم الخارجين بالخصومات الداخلية التي أدت إلى تصدع جبهة علماء الكلام وضعف شوكتهم وأتاحت الفرصة لأعداء الإسلام لممارسة أنشطتهم الهدامة .

2- استخدام المنهج الجدلي العقيم الذي كثيراً ما يؤدي إلى إثارة الشبه والشكوك دون أن يفضي إلى الإقناع واليقين⁽²⁾.

كتب الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله - تعالى - " كتيباً صغيراً في أنفس ما كتب في العقيدة في العصر الحديث وهو رسالة التوحيد ، فقد نظر الإمام ... في كتب علم الكلام ، وهي مليئة بالصراعات المذهبية ، فنحى كل هذه الصراعات والمشاغبات ،

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ص 315 .

(2) ينظر : مدخل نقدي لعلم الكلام ص 255 ، التجديد في علم الكلام م د / عبد الحميد مدكور ص 1213 ضمن موسوعة العقيدة الإسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامي .

وقدم العقيدة الإسلامية مصفاة ؛ و لذلك اكتشف أن كثيرا من الخلافات بين القدماء ، كان سببها الصراع المذهبي ، و الخلافات حول مضامين المصطلحات ، فوضع في رسالته هذه أسسا عظيمة في العقيدة بعيدة عن شعب علم الكلام ، و رسالة التوحيد التي قدمها ... هي عرض جيد لعلم الكلام ، ردم الفجوة بين السلف و الخلف ، و شرح العقائد شرحا يمزج بين العقل و النقل ، و تجاوز الترف العقلي و الجدل اللفظي ، و منهج المتون و الشروح ، و قدم أصول الإسلام تقدمة دقيقة جيدة⁽¹⁾ .

فهذان العاملان كانا من أهم الأسباب في إعراض كثير من المسلمين عن علم الكلام و مناهجه .

ب- عدم الاهتمام بالجانب العملي أو الدعوة إليه و الحث عليه ، و مثل هذه النقطة جعلت الإمام مالك رحمه الله يقول : " الكلام في الدين أكرهه ، و لم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، و ينهون عنه ، نحو الكلام في رأي جهنم في القدر ، و كل ما أشبه ذلك ، و لا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل ، فأما الكلام في دين الله ، و في الله - عز وجل - فالسكوت أحب إلي ؛ لأنني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام إلا فيما تحته عمل " ⁽²⁾ .

فمثل هذا الأمر جعل من العلم علما نظريا لا أثر له في واقع الناس ، و لا قبول له في حياتهم سيما و أن " طرائق المتكلمين ، و دورب الفرق أوحال ، لا يسلم الواقع فيها من كبوات متلاحقة ربما لو ثبث ثوبه وبدنه أو عقيدته وسلوكه ، أو باطنه ومظهره ، و يجب أن نعلم أن طريق العقيدة ينبغي أن يكون واضحا مستنيرا ممهدا مذكلا يستطيع الواقف في أوله أن يدرك نهايته ، و أن يبصر - الواقف في النهاية أعتاب البداية ' إنه

(1) علل و أدوية الشيخ محمد الغزالي ص 80 ، دار الكتب الإسلامية - القاهرة ط 2 ، 1405 هـ - 1984 م .

(2) جامع بيان العلم وفضله : أبو عمر محمد بن عبد البر 2 / 938 ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري نشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى، 1414 هـ - 1994 م .

صراط نظيف منظم مستقيم منير واضح المعالم يتجه السائرون فيه وجهة واحدة و يركبون وسيلة واحدة كي تحملهم إلى الغاية في أمان و حفظ ' و إلا فانظروا كثيرا من الصراعي لا أقصد صرعى الأبدان إنما صرعى العقول و القلوب" (1) .

إن الحديث عن محور الهدم هنا يراد به التخلص من بعض السلبيات التي وقع فيها علم العقيدة ، و التي كان بعضها مدفوعا إليها بعناصر عدة، منها البيئة، والزمن ، و الخصم ، و طبيعة الموضوعات ، و نوعية المشاكل المطروحة، و الجو الثقافي السائد في ذلك الوقت ، فكلها عوامل تشكلت وكونت علم العقيدة بالصورة التي وجد عليها ، إلا أنها في وقتها كانت عنصر قوة لهذا العلم ، و أداة تميزه على غيره من العلوم من الفنون ، و سر قوته و مصدر وجوده .

و بالجملة فهذه المآخذ أو السلبيات التي تؤخذ على هذا العلم في هذا العصر ينبغي النظر إليها على ضوء العصر والزمان و المكان التي ظهرت فيه ، فهذا العلم كان ينافح و يكافح بلغة عصره ، و طريقة خصمه ، فما خاض فيه علماء الكلام " من موضوعات في الدقيق و الجليل إنما هي موضوعات فرضت عليه فرضا من قبل خصومهم ، وهم بصدد مجادلتهم ، ودحض هجومهم على الإسلام ، وهذه الموضوعات في مجملها تمثل نقاط الخلاف بين الإسلام و الأديان المخالفة ، فهم لم يتجهوا لمناقشة الدقيق و الجليل بدافع الجرأة العقلية المحضة إنما ذلك لما اقتضته المهمة الدفاعية لعلم الكلام" (2) .

الجانب الثاني : الاستفادة من الإيجابيات :

إن الحديث عن علم جديد لا يمكن أن يتحقق بصورة صحيحة إلا بالوقوف على علم العقيدة بمعناه التقليدي وقفة متأنية يقف الباحث من خلالها على أهم ما له أو عليه ، خصوصا إذا ما وضع في الحسبان أن الجديد لا يقام إلا على أساس من القديم .

(1) الألوهية في الفكر الإسلامي د. عبدالله الشاذلي ص 29 بدون .

(2) مدخل لدراسة علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 8 .

و إذا كان هناك من يعيب على المتكلمين و طريقتهم في عرض القضايا ومناقشتها باعتبارها طرق وعرة و معقدة حتى أن السالك لها على حد قول أحد علمائنا لا يخرج منها " إلا مرمداً النظر ، كليل العقل ، مجهد الفكر ، و لا يجني من وراء رحلته إلا مراً الأفكار و حنظل الأهواء ، و لن يجد من الثمار إلا الأشواك التي تمزق الأجسام ، و تدمي الأقدام ، و قلما يعثر في رحلته على شغلة صغيرة أو بصيص من الضوء يستعين به على اجتياز هذه المهامة المظلمة الجرداء" (1).

و في واقع الأمر أن هذا الحكم رغم قسوته و شدته إلا أنه لا يخلو من جانب كبير من الحقيقة إلا أنه لا ينبغي إطلاقه على علم الكلام في مرحلة الأولى و التي كان فيها واقعياً يتفاعل مع الواقع ، و يجيب عن المشكلات ، و يضع أجوبة لكثير من التساؤلات ، فهذا الحكم ينصب على علم العقيدة في مراحلها المتأخرة التي غلب عليها التدهور و الانحلال ، و لم يوفق " في إبداع فكر جديد يوجه العصر ومستجداته ، بل ظل يدور في فلك المشكلات التقليدية ، يعالجها على نفس النمط الذي عولجت به في كتب الأسلاف ، من هنا جردت من ارتباطها بالواقع تماماً ، هذا فضلاً عن المناهج العقيمة التي تمسكوا بها ، و التي لا تسعف مفكر اليوم في معالجة مشكلاته الراهنة التي أفرزها التقدم العلمي أو التقدم في مجال البحث عن حرية الإنسان و كرامته و علاقته بواقعه" (2).

و مع كل هذه الانتقادات وقسوتها - كما سبق ذكره - فإن علم العقيدة بمعناه التقليدي لا يخلو من إيجابيات جمة يمكن الاستفادة منها في بناء علم جديد ، يفي بالغرض ، و يتواءم مع الغاية ، و يؤدي الدور المنوط به ، في المحافظة على العقيدة و إقامة الأدلة عليها و دفع ما قد يثار حولها ، فضلاً عن قيادته لمسيرة الأمة الحضارية تلك المسيرة التي قادها علم الكلام نفسه في

(1) الألوهية في الفكر الإسلامي د. عبدالله الشاذلي ص 29.

(2) مدخل لدراسة علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 9.

العصور السابقة نظرا لما تميز به ، و اختص هو به من رؤية واسعة ، ونظرة ثاقبة ، وقدرة على التكيف مع الظروف و الأحداث ، و تفاعل مع الآخر .

ويمكن الوقوف على بعض إيجابيات علم الكلام بمعناه المعروف وهي على النحو التالي :

1- الدقّة والثقل :

فقد كانت لغة المتكلمين الأوائل تقوم على فهم النص وتطبيقه، وذلك بمحاولة استيعاب كافة النصوص، والعمل المدرسي المؤثر كما نرى ذلك بوضوح في المدارس الكلامية على اختلاف مناهجها ، فنرى ذلك في الأشعرية ، والمعتزلة ، والخوارج ، والشيعية والماتريدية والمدرسة الصوفية في شقها الكلامي .

2 - قيطة العقل وبيان دوره :

فمن بين أهم إيجابيات علم الكلام القديم وضروة التركيز عليها ، وتقديرها في بناء علم كلام جديد ، العقل باعتباره أحد وسائل فهم الدين ، وشرح نصوصه ، و تفسير مراده بل الأكثر من هذا أنه هو السبيل " إلى الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص قطعي الثبوت و الدلالة ، و هو أداة المواجهة مع المخالفين ، فليس من سبيل إلى دعوة المخالف أو مواجهته إلا بدليل العقل ، ولا رد المتطرف إلا بحور عقلي مقنع" (1) .

و إذا كان الحديث عن العقل و أهميته على هذا النحو فلا بد أن ندرك أننا " لسنا مطالبين أبدا أن نطبقه على نفس الموضوعات التي تناوّلها أسلافنا إذ ربما لا تكون هي نفس الموضوعات التي تهمنّا الآن ، علينا فقط أن نستخلص عقلية النظرة ، ثم نطبقها على موضوعاتنا المعاصرة ، و لعل من أرحب مجالات العقل الآن مجالين مهمين الأول : العلم ، و الثاني : الإجهاد" (2) .

فهناك تأكيد لقيمة العقل ودوره ، خصوصا و أن أصول العقائد تقتض ذلك يقول الإمام الجويني : " اعملوا وفقكم الله - تعالى - : أن أصول العقائد تنقسم إلى ما

(1) المصدر نفسه ص 11 .

(2) المصدر نفسه ص 11 .

يدرك عقلاً، ولا يسوغ تقدير إدراكه سمعاً، وإلى ما يدرك سمعاً ولا يتقدر إدراكه عقلاً، وإلى ما يجوز إدراكه سمعاً وعقلاً"⁽¹⁾.

كما يذهب الأمدى إلى القول : بأن الإلهيات لا تأخذ إلا بالدليل العقلي عكس السمعيات التي يكتفى فيها بالدليل النقلى⁽²⁾.

3 - طريقتهم في التعامل مع الوافد إليهم من الثقافات الأخرى :

فمن أهم ما يمتاز به الكلام وأهله قديماً طريقة التعامل مع الوافد والتي جمعت بين محاولة الأصالة والاستنباط ، والابتكار والتجديد دون أن يتكثروا على الوافد كلفة ، كما أنهم استفادوا من الوافد وأدرجوه في سياقاتهم وأخرجوه من جعبتهم على طريقتهم الخاصة، فكانوا كالنحل لا يخرج من بطونها إلا العسل المصفي، الذي لا ينسب للزهور أو الورود بقدر ما ينسب إلى النحل ونشاطه. فرأينا تتابع المدرسة الواحدة وأثارها العملية في الفقه والسياسة والمجتمع والعلم والحضارة . ويمكن تتبع نشاط الأشعرية نموذجاً قبل أن تنحو نحو التقليد وتنطوي على ذاتها، بل رغم هذا الانطواء ظلت هذه المدرسة تبرز أفذاذاً كالكوثري ، والنورسي ، وابن عاشور ، ومحمد عبده وغيرهم . فهناك شبه اجماع بين المتكلمين على ذم التقليد شرط أن يكون هناك ضبط لوسائل النظر العقلي⁽³⁾.

فالقاضي عبد الجبار يكتب فصلاً بعنوان : في بيان فساد التقليد⁽⁴⁾.

-
- (1) الارشاد في أصول الاعتقاد إلى قواطع الأدلة للإمام الجويني : ص 358 ، تحقيق د. محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1369 هـ 1950 م .
- (2) غاية المرام في علم الكلام ، للأمدى ص 16 مقدمة المحقق تحقيق ، حسن الشافعي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث - الكتاب (24) 1391 هـ 1971 م .
- (3) اليقين في العقيدة الإسلامية وطرق الوصول إليه، د. مختار عطا الله دراسة في وسائل الاستدلال في الفكر الإسلامي ص 21. بدون . نحو ممارسة جديدة لعلم الكلام ، د محمود مسعود ص 10-11 ، بدون .

- (4) المغني للقاضي عبد الجبار ، ج 12 النظر والمعارف ص 123 وما بعدها ، تحقيق د إبراهيم مدكور ، إشراف د طه حسين ، وزارة الثقافة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر

4- الانفتاح على الآخر :

احتل الآخر مكانا مركزيا في التراث الكلامي منذ اللحظة الأولى لنشأته ، وذلك بما هيأه الإسلام للمسلمين من حرية فكرية ، وضوابط دينية تكفل لهم التعامل مع غيرهم ، ومن ثم تفتحت عقولهم من وقت مبكر على ثقافة عصرهم ، وأسس التعامل مع المخالفين لهم ، واستطاع المتكلمون التعامل مع الآخر وقبوله ، والتعايش معه بصورة دقيقة منظمة تراعى فيها الأصول والثوابت ، والقيم والمبادئ بطريقة مثلى تنم عن فكر مستقيم ، وعقل واع مبدع .

و ساعد على ذلك تأكيد الإسلام على ضرورة محاورة الآخر خصوصا وأنه - أي الآخر - عبر التاريخ " كان موجودا بصورة أوبأخرى في المجتمع الإسلامي كجزء من مكوناته مثلا في أهل الكتاب الذين عاشوا في المجتمع الإسلامي ، أو كان وجوده كعدو وخطر خارجي يترصد بالأمة الدوائر"⁽¹⁾.

وقد نجح الأوائل في حسن التعامل معه واستيعابه ، ورد كيده ، وإبطال شبيهه ، بما يتناسب ولغته ، وفكره ، ويتسق مع معطيات عصره .

لكن صورة الآخر هذا اختلفت الآن عما كان عليه من قبل ، كما اختلفت أساليبه ، وتنوعت ووسائله الأمر الذي يفرض على القائمين على هذا العلم ضرورة التعامل مع الواقع والتعايش مع الآخر بما يناسب العصر- وتفرضه طبيعة المسائل ونوعية المشكلات التي ييثرها من آن لآخر .

فالواقع الذي نعيشه يحتم علينا ضرورة دراسة تجربة الأوائل من متكلمي الإسلام في هذا المجال من خلال الإطلاع على ما تركوه وعملوا من خلاله على المحافظة على الهوية الإسلامية مع وجود الآخر وتعاملهم معه .

5- الواقعية التي صاحبت نشأة علم العقيدة :

فبعيدا عن الانتقادات التي وجهت لهذا العلم في هذا السنوات الماضية ، فإنها لا تقلل أبدا من دور ، أو تنفي ما قام به من مهام عظيمة ومهمات جليلة ، لا سيما أن هذا

(1) تجديد الخطاب الديني د. أحمد عرفات القاضي ص 84 .

العلم من اللحظة الأولى لنشأته قد ارتبط بالواقع الإسلامي ومن ثم فقد جاءت : " المشكلات التي عاجلها في عصر ازدهاره من واقع حياتهم ، فكان فكرهم معاشا لواقعهم ومرتبطا به ارتباطا وثيقا ، وقيمة ارتباط الفكر بالواقع قيمة لها أهميتها في تقدم أي مجتمع وتطوره ، فما تعانيه مجتمعاتنا من مشكلات وتأخر إنما يرجع - في بعض جوانبه - إلى إهمالنا للمشكلات الحقيقية و انغماسنا في مشكلات عقائدية جدلية ، قد تكون موعلة في التجريد ، من هنا لم يقو علم العقيدة - المعاصر - على انتاج فكر يقف مواجهة الإيدولوجيات و الفلسفات الوافدة و التي تواجه المسلمين منذ بداية نهضتهم ذلك ؛ لأن الفكر المنفصل عن الواقع لا يتهيأ له وسائل التأثير و التغيير في مجتمعه و لا يكون دافعا لتقدمه ... إن على علم العقيدة المعاصر مهمة أساسية هي البحث عن صيغ حديثة جديدة للربط بين التنظير في مجال العقيدة و بين الواقع الذي نعيش فيه"⁽¹⁾ .

ليقوم بدوه المنوط به على النحو الذي قام علم العقيدة قديما به ، عندما نشأة استجابة للظروف ، متفاعلا مع الواقع ، مجيبا عن التساؤلات ، واضعا الحلول للمشاكل و العضلات ، مسهما في البناء الحضاري للأمة ، وكل هذه تم نظرا للواقعية التي لازمتها عند نشأته .

الجانب الثالث : جانب البناء .

هذا هو المحور الثالث ، و الأخير في الدعوة إلى تجديد علم الكلام ، و هذا المحور يقوم على عدة جوانب وهي :

- 1 - أسس التجديد في علم الكلام :
- 2 - أهداف التجديد في علم الكلام :
- 3 - المنهج الذي يتبع في علم الكلام الجديد :
- 4 - المنطلق الذي ينطلق منه علم الكلام الجديد :
- 5 - الغاية التي يسعى لها علم الكلام الجديد :

(1) مدخل إلى علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 10 .

6- الموضوعات التي يتناولها علم الكلام الجديد :

وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل :

أولاً : أسس التجديد في علم الكلام :

لتحقيق هذه النقطة لا بد من عدة أمور:

أ- اعتماد القرآن ، لغة و أسلوباً و منهجاً في تأسيس الإيمان ، و في مخاطبة العقل و الوجدان على حد سواء، و تلبية حاجات النفس من الإشباع فهي طريقة واضحة ميسرة تخاطب في الإنسان عقله و قلبه ، و مشاعره ، دون تعقيد في الألفاظ ، أو تشعب في البحوث ، أو إيراد للآراء و المذاهب ، أو خوض في مصطلحات الفلاسفة و المناطق ، و من خلال هذا تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها .

فالقرآن الكريم هو " حديث لله عن ذاته وعن أفعاله، وعمّا فعل بالكون ابتداءً، وعمّا يفعل فيه حالاً، وما سيصير عليه نهاية، وهو إخباره عن السمعيات والمشاكل الماورائية.

والعقل إزاء هذا كله يتخبط في ضروب من الغيب لا يقدر على أن يبدد خفاياها، ولا أن يميّط الثام عنها على وجه جلي، والاهتمام بالمنهج القرآني فوق أنه حديث الله عن ذاته وفعله وخلقته وما وراء الخلق المشاهد فإذا أخذنا به في دراستنا لعقيدتنا وشريعتنا سيربط المسلمين بهذا المصدر وبالسنة ربطاً قوياً وسيكون إحكاماً لأواصر الصلة بين المسلم والكتاب المحكم سواء في جانب العقيدة أم في جوانب الأوامر والنواهي، وسواء في إشباع العقل أم القلب أم الجوارح أم العواطف والمشاعر.

وسيدفع الإنسان إلى العلم كما سيدفعه إلى العمل، ويرفق فيه نفسه ويهذب خلقه، ويشحذ ضميره، ولا مناط لنا إن أردنا عودة صحيحة إلى الدين من أن نؤسس عقائدنا،

وأن ننبه أفكارنا ونحكمها على أساس من القرآن والسنة والشرعة"⁽¹⁾.

فالقرآن الكريم "سهل ميسر للجميع يفهمه البسيط ويوقن بما فيه ويهتدي على ضوئه ، ويتدبره العلماء فيجدونه عميقا مقنعا ومعجزا لهم"⁽²⁾.

ت - الاهتمام ببيان آثار العقيدة على النفوس:

فمن صور التجديد في جانب العقيدة ربط آثارها الواقعية بها ، إذا لا يكفي أن نؤمن بالله - تعالى - إيماناً عقلانياً جافاً ، بل لابد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان وذلك كي "يعلم المرء أين نفسه من درجة استيلاء العقيدة الإسلامية عليها فإن كانت نفسه متأثرة بتلك العقيدة حمد الله على نعمته وإن كانت هذه الآثار ضعيفة في نفسه عمل على علاج نفسه أو تقوية إيمانها أفقد كانت العقائد عند أسلافنا عواطف مستقرة في القلوب أو مشاعر مستولية على النفوس أفلمّا أن صارت عندنا جدلاً وكلاماً أضعف إيمان الأمة أو تسرب إلى دينها الخلل والوهن"⁽³⁾.

ث - تناول بعض قضايا بشكل آخر يكون أقرب لمنهج القرآن الكريم والسنة المباركة ، ومحققاً لمقصدتهما ، فهناك قضايا متعددة كانت الشغل الشاغل لعلماء الكلام ، واستنفذت جهودهم ونالت جانبا كبيرا من اهتماماتهم - وقد يكون لهذا مبرر في وقته وذلك مثل مسألة الأسماء والصفات ، وقضية الذات الإلهية وعلاقتها بالصفات فكلها موضوعات بحثت ودرست لظروف ، وعلى الرغم من إيجابية التعامل وواقعية المعالجة في ذلك الوقت ، وعمق فكر المعالج إلا أنه ليس "فيها جديداً يخدم الدين أو العقيدة، كما نرى فيها خطراً على المؤمن نفسه أو على الخائض فيها بصفة خاصة.

أما كوننا لا نرى فيها جديداً يخدم العقيدة فلأن الذي يطلبه منا الحق أن نؤمن به

(1) الألوهية في الفكر الإسلامي: د/ عبدالله الشاذلي ص 133 .

(2) المصدر السابق ص 142 .

(3) مدخل إلى علم الكلام د. محمد صالح السيد ص 8 .

وبوحدانيته ، وبأنه الخالق والمبدع والمهيمن ، وأن له نعوتاً وأسماء تليق به سبحانه دون الخوض فيما وراء ذلك ، ولقد ظل رجال السلف في كل عصر- يؤمنون بهذا القدر ، ويدعون الناس إليه دون الخوض فيما وراء ذلك ... ، وأما الخطر الذي بنشأ من وراء هذه الدراسات والزلل الذي وقع فيه هؤلاء المتكلمون ، فيتلخص في أنهم عاملوا الذات الإلهية معاملة ذواتنا ، وقاموا بالتفصيل والتمحيص في شئونها ، ثم إنهم بهذا التشريح العقلي وضعوا الذات العليا تحت سلطان العقل وإمكانياته ، واقتربوا كثيراً جداً من استكنانه الذات العليا"⁽¹⁾.

ج- توجيه العناية إلى المسائل التشريعية ذات الصبغة العملية إذا تبين أنها تمس أصول الدين أو بخاصة المسائل التي اعتاد خصوم الإسلام أن يثيروا حولها جديلاً فارغاً وثرثرة طائشة أمثل مسألة تعدد الزوجات أو قوامة الرجل على المرأة وزيادة نصيبه على نصيبها في الميراث أو إباحة الطلاق أو الحدود الإسلامية لجرائم القتل والزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر فهذه المسائل وما مثلها في حاجة إلى تجلية رأي الإسلام فيها أو بيان الحكم التشريعية الكامنة وراء موقفه منها إزالة للشبهة المثارة حولها أو قصماً لظهور من يثيرون هذه الشبهات"⁽²⁾.

وبتطبيق هذا المبدأ نكون قد أخذنا بتصوير الفارابي لوظيفة علم الكلام أحيان عرف هذا العلم بأنه " ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرته الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة أو تزييف كل ما خالفها بالأقاويل"⁽³⁾.

فالفارابي في تعريف هذا لم يقصر وظيفة هذا العلم على نصرته الأصول الإيمانية أو الأحكام الاعتقادية التي عبر عنها بالآراء أبل جعلها شاملة أيضاً لفروع الدين أو الأحكام العملية التي عبر عنها بالأفعال .

(1) الألوهية في الفكر الإسلامي: د/ عبدالله الشاذلي ص 192 - 193 .

(2) مدخل نقدي لعلم الكلام ص 256 .

(3) إحصاء العلوم الفارابي ص 71 . صححه وعلق عليه ، عثمان محمد أمين ، مطبعة السعادة

وهذا مفاده أن مهمة علم الكلام المعاصر مهمة عظيمة ' إذ هو علم يقوم بالدفاع عن كل ما أمر به واضع الملة ، سواء أكان ذلك في مجال الاعتقادات أو مجال العمليات ؛ لأن إنكار ما صُرح به في الدين - اعتقادياً كان أو عملياً - يعني إنكار الدين نفسه .
فإذا كانت الأمور العملية الفرعية المصرح بها داخلة في اختصاص علم الفقه من حيث الاستدلال على ورودها في الدين أو تقريع الأحكام عليها فإنها تدخل في اختصاص علم العقيدة من حيث الاستدلال على أنها حق في ذاتها وأن إنكارها أو التشكك فيها يعني الإنكار لأصل من أصول الدين أو التشكيك في حقيقة هذا الدين على وجه الإجمال⁽¹⁾ .

ح - تجنب عرض العقيدة من خلال الرد على الخصوم القدامى ، ودفع شبهاتهم ، بل لابد من بعث الفطرة الصحيحة الموجودة في نفوس بني آدم ، وإزالة الركام عنها ، ومعالجتها وتركيتها بالأدوية الإلهية ، وتهيتها لمعرفة الحق وقبوله والإذعان له ، ثم تعرض العقيدة عرض تقريراً وتأسيساً ابتداء ، ثم من خلال الرد على الخصوم والمعارضين ، والتحديات المعاصرة ، وتجنب احترار التحديات القديمة لا سيما التي لا وجود لها على الساحة ، أو لا تقع في قائمة الأولويات⁽²⁾ .

خ - مراعاة العصر الذي نعيش فيه ، واهتمامات أفراد ، والقضايا الساخنة المطروحة في الساحة .

د - مراعاة لغة العصر ، فنحن كما قيل نعيش في عصر العلم ، فهو عصر العلوم التطبيقية ، كما أنه عصر يغلب عليه المذاهب المادية ، والتيارات الإلحادية التي اتخذت من العلم التجريبي دليلاً وجعلت منه إلهاً تدين به ، لذا فإن علم العقيدة الجديد لابد وأن يخاطب هؤلاء بنفس اللغة التي يتكلمون بها ، فما نجح علم العقيدة التقليدي إلا لأنه خاطب خصومه بلغة عصره وبنفس أسلحتهم .

(1) عوامل وأهداف نشأة علم الكلام 11 .

(2) العقيدة الإسلامية وأزمة الطرح د. عثمان علي حسن ، ص 59 - 60 ، جولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية العدد 18 مطابع الدوحة الحديثة المحدودة ، 1421 هـ 2000 م .

ذ- و يضاف إلى النقطة السابقة ضرورة الاستفادة من معطيات العصر- ومنجزاته وعلومه ، في تدعيم العقائد و تثبيتها ، وإقامة الأدلة عليها ، إذ لا يكفي أن نجعل من لغة العصر وسيلة لهدم آراء الآخر و الرد عليها ، بل لابد كذلك أن نجعل منها أدلة على صدق ما جاء في القرآن الكريم والسنة المباركة ، وأنه لا تعارض بينهما و ما توصلت إليه العلوم الحديثة ، فالقرآن الكريم كتاب الله المسطور ، و العالم كتاب الله المنظور ، وصدق الله تعالى حيث يقول :

(و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)⁽¹⁾ .

و لما لهذا الأمر من أهمية فإن كثيرا من المفكرين قد نبهوا إليه ومن أبرز هؤلاء الأعلام أ. محمد فريد وجدي عندما يدعو إلى تجديد النظر في العقائد فيقول : " فرض الإسلام سنة التجديد في النظر في الدين فقد علم أن لكل زمان مناهج للفهم ، ووجهات للتفكير ، و مسلمات أو مرجحات خاصة ، فإن لم تتجدد الفلسفة الدينية ، وتطبق على الحاجات الجديدة بلسان أهل كل عصر ، و تشمل عناصر ثقافتهم جمدت حيث و تركها الناس ، ومضوا مع العلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"⁽²⁾

و بالجملة فلا بد لعلم العقيدة الجديد من خلال المشتغلين به من الإطلاع على الفتوحات العلمية ليروا دلائل جديدة لقدرة الله في الكون واطراده على سنن لا تتبدل ، مع عدم التسليم بنظرية طبيعية إلا إذا استقر الدليل عليها في موضع مطمئن لا يتزعزع ، وحينئذ يكون العلم المعاصر سلما للاطمئنان الفكري في مسائل الدين⁽³⁾

(1) سورة النساء الآية 82 .

(2) الإسلام دين الهداية و الإصلاح . أ. محمد فريد وجدي ص 135 ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة - 1355هـ 1936 م ، و الحديث أخرجه أبو داود في سننه 4/ 109 حديث رقم 4291 . باب مَا يُذَكَّرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر: المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت .

(3) من معالم الإسلام أ. محمد فريد وجدي ص 25 الهيئة المصرية العامة للكتاب 2000 م .

ر- صرف همة المسلمين إلى قضايا العقيدة الكبرى التي تشغل العقل المعاصر و ذلك مثل وجود الله تعالى ، وتوحيده ، و النبوة و المعاد و القدر ، والحكم بما أنزل الله ، أما المشكلات الأخرى ، كمسألة الذات و الصفات ، ومشكلة خلق القرآن ، و الصلاح و الأصلاح ، فهذه مسائل درست في وقتها لظروف ، و قد انتهت هذه الظروف أو على الأقل تغيرت ، ومن ثم ينبغي أن يقتصر دراستها كتاريخ للفكر الإسلامي لا على أنها قضايا تشكل عقيدة المسلم ، وتحدد أطر العلاقة بينه و بين ربه .

ز- ترك الدخول في المناقشات الجدلية ، أو الخصومات الفكرية ، أو العصبيات المذهبية الفلسفية و العمل على عرض مسائل العقيدة بما يحقق الغاية منها .

فلم يعد هناك داع لتعدد آراء الفرق الإسلامية المختلفة في المسائل الخلافية ، كما هو المنهج العام لمعظم الكتابين في علم الكلام قديماً وحديثاً ، فإشاعة الفرق هذه لا تفيد المسلمين في شيء اللهم إلا بلبلة الفكر ، وزيادة الفرقة والانقسام داخل الفكر الإسلامي ، في وقت نحن فيه أحوج ما نكون إلى وحدة الكلمة وتوحيد الصف⁽¹⁾ .

س- الشمول في عرض مسائل العقيدة فمن الأهمية بمكان في عرض مسائل علم العقيدة في العصر الحديث تناولها من منظور شمولي ، بمعنى أن العقيدة ليست هي مباحث علم الكلام المعروفة من إلهيات و نبوات و سمعيات فضلاً عن الأسماء و الأحكام ، وإنما يراد بها الإسلام بجميع جوانبه المختلفة سواء . أن هذا الأمر يكون بأخذ مسائل العقيدة كمنهج عضوي تجريدي يراد به أن يكون منهجاً للحياة و أساساً للنظم⁽²⁾ .

ش- الربط بين الفساد الأخلاقي و الفساد الكوني ، فلا يقع الفساد في الكون إلا بفساد أخلاق البشر و تردي أحوالهم ، وهذا يدل عليه قوله تعالى : (ظهر الفساد في

(1) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث: د/ سعد الدين السيد صالح 1/9 ، ط دار الصفاء، 1411هـ-1991م.

(2) ينظر : التجديد مفهومه و ضوابطه و آفاقه في واقعنا المعاصر د. عصام البشير ص 949 مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي 2002 م.

البحر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليزيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (1).

أهداف التجديد في علم العقيدة :

ما مر كان حديثاً عن أسس علم العقيدة الجديد ،أما عن أهدافه و مهماته فهي على النحو التالي :

أولاً : عرض العقائد الإسلامية عرضاً سهلاً يسيراً في صورة ناصعة ، وتقديماً للناس بلغة عصرية أتتسم بالسهولة واليسر أو تلائم مدارك الخاصة والعامة على السواء ، سيما إذا وضع في الحسبان أن من بين خصائص هذه العقيدة ، السهولة والوضوح ، وحيث إن أمرها على هذا النحو فلا بد من عرضها بما يتوافق معها ، ثم يتبع ذلك الاستلال عليها بأدلة واضحة مقنعة أتحاطب الإنسان عقلاً وروحاً ووجداناً ، أدلة تخلو من التعقيد ، والغموض وتنأى بنفسها عن التكلف والتعقيد أو تورث الإذعان واليقين أو بذلك يسهل على الناس فهم هذه العقائد فهماً صحيحاً أو التعرف عليها في نقائها ونصاعتها أو الإيثار بهل يكون راسخاً وقائماً على البيئة والبصيرة والإقناع .

ثانياً : مواجهة حملات الغزو الفكري التي توجه إلى الإسلام أعقيدة وشريعة وسلوكاً بقصد تشكيك المسلمين فيها أو الأمثلة لذلك كثيرة أنكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها :

1- مناصرة اليهود لكل الحركات الهدامة التي قامت تكيد للإسلام والمسلمين ، ومن أهم هذه الحركات التي نشأت ونمت وترعرت تحت أجنحة اليهود و رعايتهم بطريق مباشر البابية والبهائية .

2- المذاهب الفلسفية و التيارات المادية ، و النظريات العلمية التي يتمسك بها دعاة الحداثة ، و أنصار المدنية بمعناها الزائف ، و يمكن إدراك ذلك بسهولة .

(1) سورة الروم الآية 41 .

ففي الفلسفات الحديثة و المعاصرة أدعوات صريحة للإلحاد . وحول المنهج العلمي تنسج أيضًا أوهام من الإلحاد باسم إنكار كل مالا يخضع للتجربة أو عدم قبول المادة للفناء .

3- أما في مجال التنظيم الاجتماعي ففيه سخابات من الإلحاد وتقوم بعض الدعاوى في هذا الميدان على إنكار الدين واعتباره طورًا متخلفًا من أطوار التقدم الاجتماعي أو إنكار دوره في عملية التنظيم الاجتماعي وقطع علاقته بالسياسة بدعوى فصل الدين عن السياسة أو فصل الدين عن الأخلاق بدعوى أن العلم كاف في توجيه سلوك الأفراد والجماعات .

4- و في قضايا التشريع و قضايا الأسرة نجد الإلحاد يطل برأسه في هذا الميدان فيهاجم الدين في كثير من تشريعاته ، فنجد من يهاجم تعدد الزوجات أقواما الرجل على المرأة . وهناك من ينادي بأن يكون نصيب المرأة كالرجل في الميراث . كما نجد الإلحاد يدخل نطاق تدوين التاريخ - حيث يقدم الإسلام على أنه نتيجة لصراع الطبقات ومظهر من مظاهر التطور الاقتصادي يصنف فيه الصحابة إلى يمين ويسار ويقدم الرسول ﷺ على أنه رسول لقيمة من قيم التطور الاجتماعي كالحرية . وتقدم الأديان بعامه على أنها السبب الأصيل فيما حدث من حروب على مر التاريخ وقل مثل ذلك في الأدب ، و الفن .

5- والأدهى من ذلك أن بعض البحوث ذاتها تطلعات إلى الإلحاد إذ ينكر البعض دور السنة في التشريع و ينكر نبوته صلى الله عليه وسلم و يطعن فيها ، زاعما أن القرآن ليس كتابا سماويا بل هو مقتبس من اليهودية و النصرانية أو البعض الآخر يرى الفصل بين الدين والسياسة⁽¹⁾ .

6- كما يهاجم الإسلام أيضًا في عقوباته أو حدوده التي قررها ردعاً للعصاة الآثمين في جرائم السرقة والزنا والقذف وشرب الخمر ونحو ذلك أحيث تصور هذه

(1) ينظر: عوامل و أهداف نشأة علم الكلام ص 314 - 315 .

الحدود - من جانب الأعداء - على أنها ضرب من العقوبات الوحشية التي تهدر معها كرامة الإنسان .

وقد نسى هؤلاء الأعداء أو تناسوا ما يترتب على هذا التعطيل من تشجيع العصاة والمجرمين على اقتراف جرائمهم وممارسة نشاطهم الهدام الذي يؤدي إلى حرمان الناس من أكبر نعمة أو هي نعمة الأمن والاطمئنان على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم⁽¹⁾ .
هذه لمحة خاطفة عن محاولة أعداء الإسلام تشويه تاريخ المسلمين في العصور الباكراً وهي لمحة تدل و بوضوح على ما يضمرة هؤلاء الأعداء للإسلام التخريبية على الإسلام .

7- بجانب هذين الهدفين لا بد لهذا العلم من المحافظة على أهدافه القديمة و التي ذات حول :

أ- أثبات العقائد الإيمانية وإقامة الأدلة عليها .

ب- دفع ما قد يوجه إليها من شبه أو اتهامات من قبل الملاحدة والزنادقة و المخالفين .

على أننا و إن كنا نعرض لهذين الهدفين فإننا نؤكد أن الإثبات للعقائد و الرد على المخالفين يكون وفق معطيات العصر و آلياته ، و بلغته و أدواته حتى يكون ذلك أبلغ في الإثبات و أوقع في الرد .

ومن ذلك يتبين أن الضرورة قاضية بتجديد موضوعات علم الكلام و العمل ذلك من خلال نظرة عصرية شاملة أتفي بالمطلوب ، و تحقق الغاية ، و تحافظ على الثوابت .

بمعنى أن علم الكلام الذي ننشده مطالب بأن يكون عصرية في قضايا و موضوعاته أو في أسلحته و طرق دفاعه أو في حوار و وسائل إقناعه أذلك أن المهمة

(1) ينظر : شبهات حول الإسلام محمد قطب ص 150 وما بعدها . ط دار الشروق .

الأساسية التي يضطلع بها هذا العلم هي مهمة تقرير الحقائق الإيمانية وإقناع الآخرين بها أو دفع الشبهات عنها أولاً شك أن العقل الإنساني متطور ، وأن الشبه والأسئلة تتجدد وأن لكل عصر تفكيره وطابعه ومشكلاته ، ومن ثم فإن العالم الإسلامي المعاصر يتطلع اليوم إلى ظهور متكلم عصري يقوم بدور التجديد في علم العقيدة ألدیه القدره على التفاعل مع الواقع ، و التكيف مع الحدث ، و استيعاب الآخر ، والوقوف على المشكلات وحلولها ، و العضلات وما يتفرع عنها ، و يجيب عن هذا بأسلوب بين مناسب للزمان و المكان ، و يحقق الغرض و يصيب الهدف المقصود .

المنهج الذي يتبع في علم العقيدة الجديد :

والمقصود بالمنهج هو الطريقة التي يسلكها هذا العلم لتحقيق الهدف منه و لبلوغ غايته وبما أن هذا العلم يقوم على دفع العقل المسلم لتبصر- النص في ضوء العصر-، وممارسة الاعتقاد في جو من الحرية والشفافية ، كان لا بد أن يكون المنهج المتبع هو منهج إدراك النص لغة ، وسياقا ، وتراثا ، والقيام بواجب الوقت مع إدراك الواقع من زواياه المختلفة البيئة القريبة والظروف المحيطة والإمكانات والقدرات المتاحة للفرد وللمجموع⁽¹⁾ .

إن مما يعين علم العقائد الجديد على النهوض بمهامه التي حددناها أن ينفج هذا العلم في تقرير مسائله منهجاً يستهدف الإقناع بوسائله العقلية والوجدانية على السواء وأن يوجه عناية أكبر إلى دراسة مسائل العقيدة كما وردت في الكتاب والسنة أبحيث يستوحي فيها النص في بساطة بعيدة عن تعقيدات المذاهب التي فرضتها ظروف ثقافية ربما كان عصرنا منصرفاً عنها⁽²⁾ .

(1) نحو ممارسة جديدة لعلم الكلام د. محمود مسعود ص 24 . عوامل و أهداف نشأة علم الكلام في الإسلام ص 316 - 317 .

(2) عوامل و أهداف نشأة علم الكلام ص 318 - 319 .

بهذا المنهج وحده يستطيع علم الكلام الحديث أن يواجه تحديات الحضارة المعادية والثقافات المسمومة والتيارات الغازية أو المفاهيم الداخلية المغلوطة أو ما جاءت به - في فترة سيطرة الاستعمار وعنفوان تسلطه - من مناهج ملتوية في الاعتقاد والفكر والاقتصاد والأخلاق والاجتماع .

وبهذا المنهج وحده يستطيع الجيل الإسلامي أن يحقق ذاته ويثبت وجوده وهويته بحيث لا يغيب عن معترك الحياة ولا يحيا على هامشاً أو يسلم نفسه لتياراتها ألتخطفه مذاهبها أوتلفه أعاصيرها أوتفتك به أدواؤها أويبعث بفكره وخلقه شياطينها أويقذفون به في مهاوي الظلام بعيداً عن ينبوع الحياة الطيبة الكريمة أيتخبط في سيره وينحرف في اتجاهه أويجري هنا وهناك لاهثاً مكدوداً في تيه طويل وشقاء مرير . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ⁽¹⁾ .

المنطلق الذي ينطلق منه علم العقيدة الجديد :

يقوم المنطلق أو المرتكز الرئيس لهذا العلم على تراث الإسلام بصفة خاصة مع الانفتاح على الآخر ، للوقوف على ما لديه من إيجابيات يمكن الأفادة منها ، فهو على حد قول أحد الباحثين : مشروع إحياء إسلامي ينطلق من تعقل هذا التراث بصفة جوهرية ويرتكز على محطات الإضاءة فيه ، مبتعداً عن مراحل الوهن بقدر الإمكان ، حيث هو مشروع إحياء وإنماء أكثر منه مشروع نقد وتحليل وتفسير ، يبحث عن تفعيل الدور لا وصف المفعّل ، ويهتم بتشغيل العاطل لا بمدح العامل ، والقيام بواجب الوقت وليس يصف الماضي ، يهتم بصنع ما هو آت وليس البكاء على ما ضاع ⁽²⁾ .

الغاية التي يسعى لها علم العقيدة الجديد :

تحقيق السعادة للبشرية ، والمحافظة على دور الأمة الحضاري والريادي ، فهذه غاية سعى إليها علم العقيدة بمعناه التقليدي ، ويجب أن تكون كذلك في علم الكلام

(1) ينظر :مدخل نقدي لعلم الكلام ص 267 - 268 .

(2) نحو ممارسة جديدة لعلم الكلام د. محمود مسعود ص 24 .

المعاصر باعتبارها أسمى ما يعمل له الإنسان ، فالعقيدة " الدينية في الإسلام منظومة متكاملة للارتقاء بالإنسان ، و الأخذ بيده إلى ميادين التقدم و الإزدهار على جميع المستويات العلمية ، و الأخلاقية و الحضارية و الإنسانية ،... و ليس من المفيد أن تتحول العقيدة الدينية إلى مادة جافة للمناقشات اللفظية البعيدة عن واقع الحياة و ظروف الإنسان ، فالعقيدة الدينية جاءت للإنسان و من أجل خيره و سعادته ، و من هنا ينبغي أن تفهم على أنها أداة فاعلة و محركة للهمم على طريق الخير و التقدم و الإزدهار لحياة الناس على المستويين المادي و الروحي على حد سواء" (1) .

الموضوعات التي يتناولها علم العقيدة الجديد :

أما موضوع علم العقيدة الجديد فهو الجانب العقدي عند المسلمين مع المقارنة بينه و بين عقائد غيره للوقوف على الفارق بين الإلهي و البشري ، و أثر كل منهما على صاحبه ، مع التركيز على ضرورة غرس العقيدة الإلحانية في قلوب المؤمنين بأبسط الوسائل ، و أيسر الأساليب و ذلك من القرآن الكريم ، و السنة المباركة ، و درس السير العملية، التي يمكنها أن تكون إيجابية في الجانب العملي و مؤدية إلى تفعيل دور هذا الإيمان في حياة الإنسان المسلم و من حوله ، فضلا عن الموضوعات التي فرضتها البيئة و دعت إليها الظروف ، و أفرزتها المذاهب المعاصرة أو التيارات الموجودة .

فهناك قضايا كثيرة لم تشغل بال المتكلمين الأوائل ، لكن ظروف العصر- تدعوا إليها و تقتضي- طرحها ضمن موضوعات علم العقيدة الجديد ، و تتنوع هذه الموضوعات الجديدة بتنوع أبعادها ، فمنها ما هو ذو بعد شرعي، و بعضها ذو بعد اجتماعي، و بعضها إنساني، و بعضها كوني ، و هنا يمكن القول بأن علم العقيدة الجديد يمكن أن يضم بين دفتيه " الكلام في فلسفة الوجود ، و نظرية المعرفة ، و حركة التاريخ، كما يتناول تقرير المنهج العلمي على وجهه الصحيح ، و التصدي لدعاوي

(1) السمات الأساسية للعقيدة الإسلامية ، د. محمود حمدي زقزوق ص 25-26 المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر الدولي الثالث للفلسفة الإسلامية - كلية دار العلوم بالقاهرة

التطور الطبيعي ، و حتمية القوانين الطبيعية ، ودور الدين في عمليات التنظيم الاجتماعي و الصراع بين الطبقات ، و التطور الاقتصادي ، و الحرية الفردية في علاقاتها بأساليب التربية الدينية بخاصة ، ودور السنة في التشريع ، و خلود الأصول الدينية القطعية ⁽¹⁾ .

فهذه الموضوعات كما نري بعضها ذات البعد التشريعي يركز على الجانب العملي ، و أخرى ذات بعد الاجتماعي تركز على حقيقة العدالة الاجتماعية ، و حقيقة التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة و البعض الثالث ذات بعد كوني تشمل قضية تسخير الكون للإنسان وأنه سيده ، و أن هذا الكون خلق لأجله .

إن إدراج هذه الموضوعات ضمن مفردات علم العقيدة الجديد يؤكد حجم التحديات التي تواجهها أمتنا من ناحية ، و تؤكد على ضرورة تجديد هذا العلم بما يناسب العصر باعتبار أن هذا التجديد ضرورة دينية ، و من ذلك يتبين أن الضرورة قاضية بتجديد موضوعات علم العقيدة ، و العمل ذلك من خلال نظرة عصرية شاملة أتفي بالمطلوب ، و تحقق الغاية ، و تحافظ على الثوابت .

بمعنى أن علم العقيدة الذي نشده مطالب بأن يكون عصرياً في قضاياها و موضوعاته أوفي أسلحته و طرق دفاعه أوفي حوار و وسائل إقناعه أذلك أن المهمة الأساسية التي يضطلع بها هذا العلم هي مهمة تقرير الحقائق الإيمانية وإقناع الآخرين بها أودفع الشبهات عنها أولا شك أن العقل الإنساني متطوراً وأن الشبه والأسئلة تتجدد أ وأن لكل عصر تفكيره وطابعه ومشكلاته ، و من ثم فإن العالم الإسلامي المعاصر يتطلع اليوم إلى ظهور متكلم عصري يقوم بدور التجديد في علم الكلام أ لديه قدره على التفاعل مع الواقع ، و التكيف مع الحدث ، و استيعاب الآخر ، و الوقوف على المشكلات وحلولها ، و العضلات و ما يتفرع عنها ، و يجيب عن هذا بأسلوب بين مناسب للزمان و المكان ، و يحقق الغرض و يصيب الهدف المقصود .

(1) ينظر : عوامل و أهداف نشأة علم الكلام في الإسلام ص 217 .